(١٨) من تراث الكوثري

الإمام الكوثري

المولود سنة ١٢٩٦ هـ - والمتوفى سنة ١٣٧١ هـ

للفقير إلى الله تعالى

أحمد خيري

المولود سنة ١٣٢٤ هـ - المتوفى سنة ١٣٨٧ هـ

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧

الإهـــداء

إلى الذين يُكْلَمُـونَ فى سبـيل الله فـلا يتكلمـون – ويتـألمون فـلا يتململون – ويذبون عن شرع طه ولا يتذبذبون – أهدى هذه السيرة للعظة والذكرى – إنصافًا للمروءة والدين وإرضاء للحق واليقين .

أحمد خيرى

تحريراً بروضة خيرى باشا – يوم الخميس
خامس المحرم سنة ١٣٧٢ هـ

حقوق الطبع محفوظة
للمكتبة الأزهرية للتراث

١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم العليم القائل : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى ملك الأرض والسماء ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خاتم الرسل وسيد الأنبياء . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أهل الصفاء والوفاء صلاة وسلاماً يكونان لنا فى هول المحشر نعم الأمل والرجاء .

وبعد : فهذه سيرة رجل له علىَّ من الفضل ما لا يحصر إذ أفدت من علمه وتجاربه ونصحه المثمر وكان فى كل ذلك عزوفًا عن الدنيا أبيًّا عن أن أعوضه شيئًا من دنياى المادية مقابل ما نلته منه لصلاح دنياى الروحية من علمية ودينية ، حريصًا على أن يكون كل ما يمنحه من علومه خالصًا لوجه الله تعالى لا يرجو فيه الجزاء إلا من ربه الأعلى ولسوف يرضى .

ومما لا شك فيه أن الإسلام رزئ رزءاً فادحًا وأن الأحناف نكبوا نكبة واضحة بوفاة إمام العصر ، وشيخ علماء مصر التقى النقى – اللوذعى الألمعى – الأديب الأريب – الشاعر الناثر – الموحد المؤرخ – الفقيه الجدلى المحقق – والمحدث المفصل المدقق – مولانا حجة الله الأستاذ محمد زاهد أفندى [١] الكوثرى المنتقل إلى رحمة الله تعالى بعد عصر يوم الأحد ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٧١ إحدى وسبعين عن خمس وسبعين سنة ودون الشهر .

وقد قسمت هذه السيرة إلى ثمانية فصول :

---

(١) أفندى كلمة تركية معناها السيد وكانت تطلق على أفراد البيت المالك العثمانى وعلى كبار العلماء – ولا نزال فى مصر نستعمل كلمة (أفندم) ومعناها (سيدى) – فى مجال الأدب والتكريم .

الفصل الأول : فى سرد تاريخ حياته من المولد إلى الوفاة .

الفصل الثانى : ذكر أهم الأحداث فى حياته على ترتيبها الزمنى .

الفصل الثالث : وصفه وصفًا دقيقًا .

الفصل الرابع : قصيدتى فيه وهى ٧٥ بيتًا مع شرحها .

الفصل الخامس : فى بيان مؤلفاته وتقدماته وتعاليقه ومقالاته .

الفصل السادس : فى أمور خاصة بينه وبينى .

الفصل السابع : بيان بعض شيوخه وبعض مأثور كلامه من منظوم ومنثور .

الفصل الثامن : تلامذته مرتبة أسماء من تعيه الذاكرة منهم على حروف المعجم .

وليس من عادتى أن أكيل المدح جزافًا كما أنى أطبع هذه الترجمة ولا يزال عارفو الرجل والناهلون من فضله أحياء يرزقون – ولذلك أقرر أن كل ما سيرد فى هذه الترجمة هو دون حقيقة فضائل الرجل ومناقبه – ومهما يتوهم الجاهل أو الحاسد فيها من الغلو والمبالغة فإن العارف المنصف سيرى فيها قصوراً وتقصيراً .

* * *

الفصل الأول
فى سرد تاريخ حياته من المولد إلى الوفاة

هو محمد زاهد بن الحسن الحلمى المتوفى فى دوزجه يوم الأربعاء

ثانى عشر ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ عن مائة سنة ، وكان انتقل إليها من قريته سنة ١٣٠٣، وهو ابن على الرضا المتوفى بموضع قرية الحاج حسن قبل بنائها وعقب وصولهم مهاجرين من القوقاس سنة ١٢٨٠، وهو ابن نجم الدين خَضُوع المتوفى بالقوقاس فى حدود سنة ١٢٤٥، وهو ابن باى المتوفى بالقوقاس حوالى سنة ١٢٢٠، وهو ابن قُنَيِّتْ المتوفى بالقوقاس فى حدود سنة ١١٨٠، وهو ابن قانص المتوفى بالقوقاس حوالى سنة ١١٤٠، وينحدر من أصل جركسى من فخذ يعرف جدهم باسم كوثر ومن هنا كانت النسبة ويرجح أن يكون بين قانص وكوثر نحو سبعة آباء .

ولد يوم الثلاثاء ٢٧ أو ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٦ ست وتسعين مع أذان الفجر فى قرية الحاج حسن أفندى[١] وتلقى مبادئ العلوم من شيوخ دُوزْجَه وغادرها سنة ١٣١١ للآستانة ونزل عند وصوله فى مدرسة دار الحديث التى بناها قاضى العسكر حسن أفندى المتوفى ١٠٤٤ حيث كان ينزل عمه موسى الكاظم[٢] وطلب العلم فى جامع الفاتح على الشيخ إبراهيم حقى الأيينى إلى أن توفى سنة ١٣١٨ فتمم على الشيخ على زين العابدين الألصونى المتوفى سنة ١٣٣٦ إلى أن تخرج عليه سنة ١٣٢٢ ،

---

(١) هى قرية أنشأها والد المترجم فعرفت باسمه (حاج حسن قريسى) وتقع قبلى قضاء دوزجه بنحو ثلاثة أميال وشرق الآستانة بنحو خمس مراحل .

(٢) هو موسى الكاظم الكوثرى السيروزى المتوفى سنة ١٣٥٣ فى أطه بازار بالأناضول بين الآستانة ودوزجه عن حوالى تسعين سنة .

وكان الامتحان للعالمية فى ذلك الوقت يجرى مرة كل خمس سنوات وتصدر به إرادة سلطانية ، وكان امتحان المترجم سنة ١٣٢٥ بلجنة رئيسها وكيل الدرس أحمد عاصم المتوفى سنة ١٣٢٩ - وأعضاؤها محمد أسعد الأخسْخَوى الذى ولى مشيخة الإسلام فيما بعد ومصطفى بن عظم الداغستانى المتوفى سنة ١٣٣٦ وإسماعيل زهدى الطوسيوى المتوفى ١٣٢٧ (١) وله مشايخ غير هؤلاء ذكر أغلبهم وترجم لبعضهم فى ثبته المسمى (التحرير الوجيز) .

ولما نال إجازته العلمية سنة ١٣٢٥ اشتغل بالتدريس فى جامع الفاتح إلى أوائل الحرب العظمى الماضية التى بدأت فى سنة ١٣٣٢ ولما كان ممن قاوموا التغيير الذى أراد أن يقوم به الاتحاديون القائمون بالحكومة العثمانية وقتئذ ذلك التغيير الذى أرادوا به القضاء على العلوم الدينية تحت ستار الإصلاح (٢) فقد أصبح عرضة لاضطهادهم .

وتفصيل الأمر أن النظام القديم كان يقضى بأن الطلبة يختارون شيخًا يحضرون عليه العلوم جميعها من مبدئها إلى غايتها لمدة خمس عشرة سنة فأراد أصحاب النظام الجديد إدخال العلوم الحديثة الغربية وتخصيص المدرسين بأن يدرس كل منهم ما يختار له من العلوم لعدة فصول وجعلوا مدة الدراسة ثمانى سنين وعقدوا لذلك مجمعا وكان شيخنا من أعضائه فرأى فى ذلك قضاء على الدين لقصر مدة الدراسة وكثرة العلوم خصوصا وأن الطلبة أتراك والعلوم الدينية تستلزم دراسة اللغة

---

(١) انظر ص ٣٦ من ثبت المترجم (التحرير الوجيز) وقد ولى كل من الآخرين مصطفى وإسماعيل رتبة قضاء العسكر وهى المعروفة بصدارة الروملى التى هى أرقى الرتب العلمية ويعرف أصحابها بالصدور العظام ومنهم كان يختار شيخ الإسلام عادة فيما سلف من تلك الأيام .

(٢) والإصلاح دائما هو الدعوى التى لجأ إليها الملاحدة إذا أرادوا محاربة الدين الذى يرونه مانعًا لهم من بلوغ مآربهم الفاسدة .

العربية فما زال يحتال ويمكر حتى جعل مدة الدراسة اثنتى عشرة سنة غير البدء بسنتين تحضيريتين ، وبعد ذلك ثلاث سنوات للتخصص فأصبحت المدة سبع عشرة سنة وذلك بمعاونة بعض الصلحاء من أعضاء اللجنة مما أثار حفيظة صنائع الاتحاديين من أعضاء اللجنة فسعوا فى عزل شيخ الإسلام فى ذلك العهد محمد أسعد بن النعمان الأخِسْخَوِى وتعيين خيرى أفندى الأرْكُوبى الذى كان على بغضه للقديم وصرامته ذا ورع ودين إلى حد ما فلم ينل الاتحاديون مشتهاهم وصدر قانون الإصلاح محققًا لرغبات المجمع وهادمًا لشهوات المتطرفين فلما شمرت الحرب عن ساقها وكان شيخنا اختير له علوم البلاغة والوضع والعروض والتدريس فى معاهد نظامية يوميًا ما عدا يوم الجمعة ، أشار عليه بعض أصدقائه من الاتحاديين بأن وجوده فى الآستانة أثناء الحرب قد يجعله عرضة لبعض الاضطهاد : فقال : إنه يود القيام بافتتاح المعهد الفرعى الذى أنشأته الحكومة فى قسطمونى بوسط الأناضول فصدر الأمر بنقله حيث بقى هناك ثلاث سنوات استقال عقبها وعاد إلى الآستانة .

ومما حدث له قبل ذهابه إلى قسطمونى أن الجامعة أرادت تعيين أحد أساتذتها لتدريس الفقه وتاريخه فتنافس فى ذلك الأساتذة الاتحاديون فرأت الإدارة عقد امتحان وأخبره بالنبأ أحد زملائه فقدم طلب الدخول فى الامتحان آخر يوم وأصبح فأدى الامتحان ، وكان الأول فى النجاح ، ولكن الاتحاديين غاظهم هذا الأمر ، فقام أحد كبار نوابهم وكان زميلا للشيخ فى التدريس بالفاتح واسمه فاضل عارف المتوفى سنة ١٣٤١ وطلب من وكيل[1] المعارف المدعو محمد شكرى بك أن يوقف تبليغ موافقته للجامعة ففعل – فلما علم الشيخ بذلك زاره وقال له والآخر يعجب من

(١) أى الوزير وكانت تطلق عليه كلمة الوكيل وقتئذ باعتبار أن كل وزير نائب عن السلطان فى وزارته فهو فى حكم وكيله .

زيارة خصمه - : علمت من الصحف نبأ تعييني ولما كنت زميلى فى التدريس ومن ذوى الجاه الآن فلا بد أن ذلك كان بمساعدتك - واضطر عارف إلى مجاراة الشيخ وقبول شكره وتناسى معاكسته السالفة .

ولما رأى الاتحاديون أنه لا مناص من تعيين خصمهم اكتفوا بانتداب أحد الأساتذة لهذه الوظيفة ولم يعينوا فيها أحداً حتى لا يتعرضوا للنقد بتعيين أحد أعوانهم وتخطى الناجح الأول - وحتى يتفادوا تعيين عدوهم فى وظيفة جديدة ذات مرتب حسن .

وعاد الشيخ من قسطمونى إلى الآستانة ، وفى طريقه غرق فى أقتشه شهر وتفصيل ذلك فى الفصل الثانى ، وكان وصوله إلى الآستانة عقب الهدنة مباشرة فعين فى دار الشفقة الإسلامية وهى مدرسة ليلية كبيرة تحت إشراف جمعية خاصة .

وساعده نجاحه فى الامتحان السابق الذكر على أن يلى تدريس التخصص مع صغر سنه بالنسبة إلى زملائه فى تدريس التخصص وذلك بعد نحو شهر من اشتغاله بدار الشفقة الإسلامية - واستمر فى ذلك حتى انتخب عضواً فى مجلس وكالة الدرس نائبًا عن معهد التخصص وبعد ذلك عين وكيلا للدرس ورئيساً للمجلس المذكور (١) إلى أن عزل واستمر بعد عزله عضواً بمجلس وكالة الدرس لأنه لما عين رئيساً لم يعين بدله فى العضوية فلما عزل عن الرياسة بقى فى العضوية والتدريس إلى أن غادر الآستانة (٢) قاصداً مصر على الباخرة العباسية من بواخر شركة البوستة الخديوية فوصل الإسكندرية يوم الأحد ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٤١ الموافق ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م ونزل بالقبارى أياما ثم سافر إلى القاهرة ونزل بفندق دار السلام بالحى الحسينى أياما ثم انتقل إلى شبرا وسكن منزلا

---

(١) انظر معنى وكيل الدرس وسبب عزل الأستاذ فى الفصل الثانى .
(٢) انظر سبب مغادرته الآستانة فى الفصل الثانى .

بجوار قسم شبرا أشهراً ثم سكن بمصر الجديدة لمدة أشهر أيضًا ثم عاد إلى الإسكندرية ومنها رحل رحلته الأولى إلى الشام قبل انقضاء عام على يوم وصوله من الآستانة فسافر بالبحر من إسكندرية إلى بيروت ومنها بسكة الحديد إلى دمشق حيث مكث بها ما يزيد على سنة ثم عاد بالسكة الحديدية إلى مصر عن طريق فلسطين والقنطرة فنزل بحلوان ثم تحول إلى مدرسة محمد بك أبى الذهب المتوفى سنة ١١٨٩ وهى المعروفة بين العامة باسم تكية الأتراك . وتقع شمال جامع أبى الذهب الكائن فى شمال الجامع الأزهر والمطل على ميدان الأزهر ثم رحل الرحلة الثانية إلى الشام سنة ١٣٤٧ عن طريق فلسطين بسكة الحديد وأقام بدمشق حوالى سنة وعاد بنفس الطريق إلى مصر سنة ١٣٤٨ [١] فنزل بفندق الكلوب المصرى بالحى الحسينى فلما التحق بدار المحفوظات المصرية لتعريب الوثائق التركية بعد اختباره نقل سكنه إلى القلعة ليكون قريبًا من عمله وهناك حضرت عائلته حيث رآها لأول مرة منذ مغادرته الآستانة ، ثم انتقل بعائلته إلى شبرا فحلوان فشارع حسن الأكبر فشارع النزهة بالسكاكينى فشارع سوق العباسية بالمنزل رقم ١٧ فآخر شارع العباسية بالمنزل رقم ١٣٠ حيث زرته لأول مرة سنة ١٣٥٦ ثم انتقل إلى رقم ٦٠ من شارع العباسية فى سنة ١٣٥٧ وفى أوائل سنة ١٣٥٨ انتقل إلى المنزل رقم ٦٣ من شارع العباسية

---

(١) من أهم من لقيهم فى الرحلة الأولى السيد أبو الخير الحنفى المتوفى سنة ١٣٤٣ والمترجم بدمشق قبل عودته وهو السيد محمد أبو الخير بن أحمد المتوفى سنة ١٣١٧ ابن عبد الغنى شقيق العلامة ابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ – ولقى أيضًا السيد محمد بن جعفر الكتانى المالكى المتوفى سنة ١٣٤٥ – والشيخ محمد بن سعيد بن أحمد الفراء الحنفى المتوفى سنة ١٣٤٥ وهو ابن بنت محمد علاء الدين بن عابدين المتوفى سنة ١٣٠٦ – وعلاء الدين هذا هو الذى أكمل حاشية والده على الدر – . ولقى فى رحلته الثانية محمد صالح الآمدى الحنفى المذكور فى ص ١٦ من التحرير الوجيز – كما لقى فى رحلته الأولى والثانية كلا من محمد توفيف الأيوبى الحنفى وكذا محدث الشام السيد بدر الدين الحسنى سمع منه ولم يستجزه .

حيث بقى به عشر سنوات ، وفى أواسط سنة ١٣٦٨ انتقل إلى المنزل رقم ٣ حارة الروم المتفرعة من شارع الملك وانتقل منه بعد أشهر يوم الإثنين ٢٠ من شوال سنة ١٣٦٨ إلى المنزل رقم ١٠٤ بشارع العباسية على يسار السالك من مصر إلى مصر الجديدة بجوار قسم الوايلى وبه توفى .

وكان قد تزوج بعد اشتغاله بالتدريس وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى بالسيدة الفاضلة التقية التى شاركته أفراحه وأتراحه وساكنته فى هجرته وغربته وهى لا تشكو ولا تتذمر بل كانت مثال المؤمنة الصالحة التقية على الرغم مما نالها من بلاء يؤود الجبال وما نزل بها من أحزان تئط منها الجمال ولم يبن على غيرها طول حياته ، ورزق منها ولداً وثلاث بنات مات الولد وإحدى البنات بالآستانة قبل هجرته وماتت البنتان بمصر .

فأما الآنسة سنيحة فماتت أثناء إقامته الثانية بحلوان فى ٢٠ من شوال سنة ١٣٥٣ بحمى اليتفوئيد ، وأما السيدة مليحة فقد تزوجت ثم طلقت لسبب صحى، وتوفيت ليلة الأحد ٧ من رجب سنة ١٣٦٧ وصلى عليها بالحرم الحسينى يوم الأحد ودفنت مع شقيقتها وكانت وفاتها نتيجة ضعف عام من تسلط مرض السكر على الرغم من صغر سنها وظلت تصلى إلى ظهر الجمعة ثم أحست بانهيار فأشهدت والدها أن عليها أداء الصلاة من عصر الجمعة فانظر إلى هذه المؤمنة التى تخرج من الدنيا وعليها صلاة يوم واحد بسبب وطأة المرض وشدة الاحتضار وقِسْ هذه الحالة على كثير ممن يدعون الإسلام ويزعمون الانتساب إليه ثم لا يعرفون ما هى الصلاة .

وانظر قبل ذلك كله إلى ذلك الرجل الصالح الذى ربى أولاده تربية إسلامية صحيحة ثم احتسبهم عند الله صابراً راضياً واذكر قول رسول الله ﷺ : « ما من مسلم تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة » (الجامع الصغير للسيوطى وحسنه) .

وكان المترجم رضى الله عنه يشكو فى سنواته الأخيرة تارة من السكر وتارة من الضغط وآونة من الأملاح وغيرها من أمراض الشيخوخة على أن

ذلك لم يكن ليقعده عن التأليف ولقاء تلامذته وتعليمهم والرد على الأسئلة التي كانت تأتيه من المسلمين في مختلف البقاع وفي السنة الأخيرة من عمره شعر بضعف في بصره فأجريت له جراحة في إحدى عينيه ثم أصيب باحتباس البول ودخل مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية – بالأجر – وغادره في آخر ربيع الآخر ولما زرته لآخر مرة وأفطرت عنده يوم الجمعة ٢٧ من رمضان كانت تبدو عليه آثار الضعف ولكنه كان سليم الحواس حديد الذاكرة وأملى عليَّ بعض فوائد عن مكتبة طوبقبو بالآستانة التي غادرها منذ أكثر من ثلاثين سنة وفي شوال عاوده احتباس البول فدخل المستشفى الإيطالي وغادره بعد شفائه ، وقد أكد لي الأخ الشيخ عبد الله عثمان أن المترجم ظل ممتعًا بحواسه إلى آخر لحظات حياته . ولذا فإن من يزعم أنه كف قبيل موته يكذب على الله ويكذب على الأحياء من عباد الله ، وفي يوم السبت السابق على وفاته شعر بأعراض الحمى فأحضر له الشيخ عبد الله عثمان وكان يلازمه في المدة الأخيرة – طبيبًا قرر بعد فحصه أنه مصاب (بالأنفلونزا) وأمر له بدواء ، وفي ليلة الأحد اشتدت الحرارة وزاد الضعف ، وبعد ظهر يوم الأحد المذكور رأى الشيخ عبد الله أن الحالة تستدعي حضور بعض الإخوان لمعاونته على ما قد يحدث فنزل قبيل العصر ولما عاد في الساعة الخامسة إلا ثلثًا وجده انتقل إلى رحمة الله تعالى منذ خمس دقائق أي في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين من بعد ظهر يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة سنة ١٣٧١ إحدى وسبعين ولم يحضره إلا زوجته التي أوصاها المترجم أن تقرأ الفاتحة عند خروج روحه وقد نفذت وصيته وصلى عليه قبل ظهر الإثنين ٢٠ منه في الجامع الأزهر وأم الناس الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كلية اللغة العربية – كان – ودفن في قرافة الإمام الشافعي في حوش صديقه الشيخ إبراهيم سليم بشارع الرضوان وهو شارع يتفرع من الشارع الرئيسي الموصل إلى البساتين ويتجه شرقًا إلى الجبل فإذا دخل فيه السائر مستدبرًا شارع البساتين مستقبلا جبل

المعظم وجد الحوش عن يمينه ، فإذا دخله وجد حوشًا صغيرًا غير مسقوف ويواجه الداخل قبر مكتوب عليه الفاتحة لروحى سنيحة ومليحة بنتى الكوثرى فى ٢٠ شوال سنة ١٣٥٣ هـ – ٧ رجب ١٣٦٧ هـ وإلى يمين الداخل دفن المترجم فى قبر خاص لم تكن عليه كتابة يوم زرته بعد عصر الأربعاء ١٣ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ – وقد رأيت عند السيد حسام الدين القدسى لوحة من الرخام أعدت لتوضع على القبر مكتوب عليها ما يأتى :

الفاتحة لروح محمد الزاهد الكوثرى وهو القائل :

يا واقفًا بشفير اللحد معتبرًا	قد صار زائر أمس اليوم قد قبرا
فالموت حتم فلا تغفل وكن حذرًا	من الفجاءة وادع للذى عبرا
فالزاهد الكوثرى ثاو بمرقده	مسترحمًا ضارعًا للعفو[1] منتظرا

توفى فى ١٩ (ذا) من سنة ١٣٧١ عن ٧٥ سنة .

وكان رضى الله عنه أملى علىَّ هذا الشعر فى ٢٧ من رمضان سنة ١٣٧١ وقال إنه يود أن يكتب على قبره فكأنه كان يؤذننى بأن هذا هو آخر لقاء بيننا فى هذه الدنيا الفانية .

وقبره قريب من قبر أبى العباس الطوسى المتكلم المشهور رضوان الله عليهما .

هذا هو الرجل الذى فقده الإسلام وخسره الأحناف ورزئ فيه العلم وثكلته المروءة واستوحش لغيابه الزهد وشغر مكانه بمصر رضى الله عنه وأرضاه وأعلى فى جنان الخلد منازله ومثواه .

* * *

(١) يلاحظ أنه أملى على (للصفح) بدلا من (للعفو) .

الفصل الثانى

ذكر أهم الأحداث فى حياته على ترتيبها الزمنى

فأولها : حادث الغرق بأقششهر وتفصيل ذلك أنه عقب الهدنة استقال من عمله فى قسطمونى وأراد العودة إلى الآستانة وكان الوقت شتاء ويستحيل السفر بالبر لكثرة الثلوج وصعوبة السير – وليس إلا طريق البحر الأسود فسار من قسطمونى إلى إينابولى وهى ميناؤها على البحر وتبعد عن قسطمونى نحو مرحلة إلى الشمال وهناك بعد أن طال انتظاره اضطر إلى ركوب باخرة صغيرة قديمة كانت تسير حيناً وتتلف آخر حتى وصل إلى ميناء أَرَيْلىِ وهناك فضل تركها واستقل قاربا يقصد أقششهر وهى ميناء بلدته دوزجه وتبعد عنها نحو خمس ساعات بالعربة التى تجرها الخيل على نية أن يبقى ببلدته حتى تتيسر له سبيل العودة إلى الآستانة وكانت مغادرة أريلى مع الفجر وقبيل العصر بدت له ولمن معه من الركاب مدينة أقششهر وبدأ اضطراب البحر واشتداد هياجه وما أن أشرفوا على الساحل عن بعد حتى انقلب بهم الزورق ولكنهم ظلوا متمسكين به ورآهم من كان على الشاطئ فهموا بإنزال زورق آخر ولكنهم اضطروا إلى العدول لشدة هياج البحر واضطراب أمواجه فما كان من اثنين منهم إلا أن نزلا إلى الماء وسبحا ومعهما حبال طويلة ربطا بها الزورق وعادا لمن فى البر لجذبه وأثناء الجذب اشتدت الأمواج المثلثة : وهى بأن تأتى الموجة تعقبها ثانية ثم ثالثة متتاليات . وأدى ذلك إلى أن أفلت من فى البر الحبال وعاد الزورق إلى وسط البحر كما كان ، كل هذا والغرقى مستمسكون بالزورق غير شاعرين بما يبذل لإنقاذهم فلما اشتدت الأمواج المثلثة أرغمتهم على إفلات الزورق وهنا بدأ الشيخ يغرق ، وكان ممّا دار بخلده عند انقلاب الزورق أن لو كان غرق بعيداً لكان أجدى من غرقه هنا حيث يعثرون على جثته فيترتب على

ذلك إزعاج والده وأهله ، فلما بدأ يغرق قال لنفسه أهكذا الموت غرقا بهذه السهولة كنت أظنه أشد من ذلك ثم غاب عن وعيه – ولم يفق إلا على طنين فى أذنيه ثم بدأت حواسه تعود إليه حتى أفاق ثم ألزمه منقذوه أن يجرى حتى لا يهلك مما تحمله من شدة البرد ومقاومة الأمواج ومع وجود كثير يعرفونه لم يعرفه أحد إلا بعد مدة حين تمت إفاقته وعاد الدم إلى وجهه – وعلم بعد ذلك أن الرجلين اللذين ربطا الزورق بالحبال كانا فى شبابهما ممن يعمل فى البحر ثم أثريا وتركا تلك الصناعة لعمال تحت أيديهما ، فلما شاهدا الحادث – واتفق عدم وجود أحد غيرهما يحسن الإنقاذ – نزلا وربطا الزورق ، ولما اضطرت الأمواج المنقذين إلى إفلات الزورق عادا إلى النزول وأنقذا جميع الغرقى الذين خرجوا أحياء ولم يمت أحد منهم ولله الحمد – ولما أراد شيخنا مكافأة الأخوين ماديا – وذلك لأن الرجلين المنقذين كانا أخوين – قيل له مهما تكافئهما فلن تؤثر مكافأتك عليهما لأنهما من الثراء بمكان عظيم ، ولكن لو توسطت لدى الحكومة فشكرت لهما هذا الصنيع لكان أجدى فلما عاد إلى الآستانة وسط بعض أصدقائه لدى الصدر الأعظم فأنعم عليهما بنوط وأشير إلى ذلك لشهامتهما – وعلم الشيخ أنهم عند إخراجه ظنوه قد مات ولكن أحد الشيوخ قال : اعملوا الواجب بأن تضربوه على رجليه وتستفرغوا الماء منه إلى آخر ما يعمل لإنقاذ الغرقى – وما هى إلا هنيهة حتى أفاق وعاد إليه شعوره وكان معه عند الغرق مجموعة من أنفس المخطوطات – بلغ الحرص به عليها – أن نقلها معه من الآستانة إلى قسطمونى – ولم يرد تركها هناك فحملها معه حيث غرقت فيما غرق من متاعه – وكان بينها مخطوط – كان من ضمن ما فيه أن كاتبه ذكر أنه رأى (الأمالى) لأبى يوسف القاضى الصاحب المتوفى سنة ١٨٢ فى قمطر (دولاب) خاص وأن الكتاب المذكور فى ثلثمائة مجلد . وكان هذا الحادث فى سنة ١٣٣٧ . وكانت المخطوطات سالفة الذكر ، منها ما هو من مخطوطات القرن السادس ، ومنها ما هو من

القرن السابع أى أنها كانت من عيون الذخائر ، أما المخطوط الذى ذكر الأمالى فقد كان مخطوطًا بعد الألف ، وليس له تاريخ ولا اسم مؤلف ولكن الشيخ يرجح أن مؤلفه هو العلامة (نوح القونوى) مُحشِّى درر الحكام شرح غرر الأحكام المتوفى سنة ١٠٧٠ – والمدفون بمصر قرب قبر عقبة بن عامر – وكانت الكتابة مبتدئة فى كل صفحة من الزاوية ثم تسير فى أسطر مائلة حتى تنتهى فى الزاوية المقابلة ، وكان هذا المخطوط يحتوى على مجموعة رسائل نادرة من ضمنها رسالة لابن حجر الهيثمى الشافعى المتوفى سنة ٩٧٤ فى مناقب أبى حنيفة غير (الخيرات الحسان) وكان فيه أيضًا رسالة جاء بها أن مؤلفها رأى فى مخطوط قديم رواية عن أبى عاصم العامرى القاضى أن الأمالى بالوصف السابق ذكره – ولأبى عاصم هذا (المبسوط) فى الفقه الحنفى فى ثلاثين مجلداً وذكر عبد القادر القرشى المتوفى سنة ٧٧٥ أنه موجود بمكتبة نور الدين الشهيد بالشام – وكان هذا المخطوط مما اشتراه شيخنا من تركة شيخه محمد خالص الشروانى المتوفى سنة ١٣٣١ – ومما غرق أيضًا يومئذ كتاب عقيدة الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١ بخط ابن العديم صاحب تاريخ حلب المتوفى سنة ٦٦٠ وعليه سماعات وغير ذلك من الذخائر والنفائس – ولما أنقذ الشيخ لجأ إلى دوزجه ليستجم بها بضعة أيام وفى أثناء ذلك وردت له برقية من الآستانة بتعيينه فى دار الشفقة الإسلامية فتوجه إلى الآستانة كما مر ذكره فى الفصل الأول .

وثانيها : عزله المشرف من منصب وكالة الدرس ويحسن أن نذكر معنى الكلمة وسببها وذلك أن السلطان بايزيد [1] الثانى بنى مدرسة وأمر بأن يدرس فيها شيخ الإسلام ومع تطوارت الزمن عين مشايخ للإسلام يجيدون السياسة أكثر من العلم فكانوا ينيبون عنهم وكيلا لأداء هذا

(١) المتوفى سنة ٩١٨ وهو ابن السلطان محمد الثانى فاتح مدينة قيصر المتوفى سنة ٨٨٦ ووالد السلطان سليم الأول فاتح مصر سنة ٩٢٣ والمتوفى سنة ٩٢٦ .

الدرس عرف باسم وكيل الدرس أو (درس وكيلى) كما يقول الترك ثم انتهى الأمر بأن أصبح لشيخ الإسلام ثلاثة وكلاء أحدهم للفتوى ويسمونه (فتوى أمينى) أى أمين الفتوى ، والثانى : له الإشراف على العلم والعلماء والمدارس ، وهو وكيل الدرس ووظيفته تقابل منصب شيخ الأزهر بمصر - والثالث : رئيس التحقيقات الشرعية ، ووظيفته ضبط أعلام القضاة والإشراف على الشئون القضائية - أما تعيين القضاة وعزلهم فكان بأمر السلطان بناء على اقتراح شيخ الإسلام وتقرير مجلس القضاء ، وكان سبب عزل الأستاذ عن منصب وكيل الدرس أن لجنة مساعدة منكوبى الحرائق بالآستانة أرادت هدم مدرسة أنشأها السلطان مصطفى الثالث المتوفى سنة ١١٨٧ والمشهور باسم لاله لى - لتبنى عليها داراً لإسعاف المنكوبين تكون بمثابة مأوى لهم وكانت اللجنة برياسة شرف السلطان محمد وحيد الدين[١] السادس ورياسة توفيق باشا فعارض الأستاذ فى هدمها وطلب من شيخ الإسلام [٢] أن يعارض فلم يعمل شيئًا فما كان من الأستاذ إلا أن رفع دعوى لدى المحكمة لمنع هدم المدرسة لأنها مستكملة شرائطها ولا يجوز هدمها إلا بحكم ووكل عنه محاميَيْن ورفعها أمام أحد القضاة المطربشين (أى لابسى الطربوش) لعدم ثقته بالمعممين وأثناء سير الدعوى ولى توفيق باشا منصب الصدر الأعظم وحاولوا ثنى الأستاذ عن عزمه فلم يفلحوا فاحتجوا بأن صاحب الحق فى رفع الدعوى هو شيخ الإسلام فأخرج لهم الأستاذ نصًّا بأن المدارس تابعة لوكيل الدرس فلم يروا بدًّا من عزله وتعيين سواه على أنه بقى عضواً فى مجلس وكالة الدرس الذى كان رئيسه

---

(١) هو آخر سلطان عثمانى وخلفه ابن عمه عبد المجيد الثانى خليفة فقط بينما تولى السلطة الفعلية عدو الله كمال رئيسًا للجمهورية ثم عزل الخليفة وزالت تلك الدولة وسبحان من يرث الأرض ومن عليها .

(٢) واسمه نورى أفندى وهو آخر قاض أرسلته الدولة العثمانية إلى مصر وبعده انفصلت مصر عن تركيا كما أنه آخر شيوخ الإسلام بالآستانة وبعده ألغى المنصب .

كما مر ذكره فلم يسكت بل ذهب لمن خلفه وقال له إن سكت فبها ونعمت وإن لم تسكت وتنازلت عن الدعوى بعزل المحاميين فثق بأنى مهاجمك فقال له : أنا أسكت والدعوى تأخذ سيرها ثم انقلبت الأمور ودخل الكماليون الآستانة وقبيل دخولهم غادرها الأستاذ وهدمت المدرسة بعد ذلك فعلا وبنى مكانها بناء سلم لإدارة الهلال الأحمر وهذه الدار الآن[1] هى مركز الكفر والإلحاد والعياذ بالله بينما كانت المدرسة المهدومة مسكنًا للطلبة الذين حصلوا على إجازات علمية وأصبحوا علماء ، ولكن لم يتزوجوا فكان يسكنها كل صالح وكان لشيخنا صديق من حاشية السلطان وحيد الدين وكان ذلك الصديق صالحًا ومتألمًا لهدم المدرسة ، فقال له الشيخ أخبر السلطان أن السلطان مصطفى لاله لى وإن عرف عنه أنه كان مجنونًا إلا أنه بنى هذه المدرسة المباركة وفى زمنه احترق جامع الفاتح فجدد بناءه ووقف عليه خيرات جمة وله عدة أوقاف وصدقات جارية بالآستانة فهدم هذه المدرسة المباركة يكون مشئوما خصوصا وقد بلغنى أن السلطان قال هذا عمل جدى ولابد قبل هدمه من بناء سواه .

والآن أقف برهة أسائل فيها نفسى كم من علماء الإسلام يستطيع – فى سبيل ما يعتقده حقا – أن يقف فى وجه من بيده أدنى سلطان فضلا عن الوقوف فى وجه (جلالة) السلطان . أظن أن العدد يكون قليلا جدًا – والكوثرى كان من هذا القليل النادر .

وكان مرتب منصب وكيل الدرس خمسة وسبعين جنيها عثمانيا ذهبًا فى كل شهر وهو مبلغ طائل فى تلك الأيام .

وثالثها : اضطراره إلى مغادرة بلاده فارًا بدينه ، وسبب ذلك أن الأستاذ كان من المستمسكين بدينهم واستلزم ذلك كراهته الاتحاديين

---

(١) المراد من (الآن) وقت التدوين فى المحرم سنة ١٣٥٩ أما الآن أى فى المحرم سنة ١٣٧٢ فربما يكون الوضع تغير خصوصا وقد ألغت الحكومة التركية كثيرًا من القيود التى كانت موضوعة لمحاربة الدين الإسلامى .

لنزعتهم الإلحادية فلما ولى الأمر الكماليون وكانوا أشد إلحاداً ولا دينية وبغضاً للإسلام وعلمائه وكل ما يتصل به كما ظهر منهم فيما بعد ، فقد رأى أن الخير فى مغادرة البلاد مؤقتاً حتى تهدأ الفتنة خصوصا وقد أخبره بعض المخلصين أن هناك مؤامرة لاعتقاله فخرج من السوق إلى الميناء دون الرجوع إلى منزله حيث استقل الباخرة من الآستانة إلى الإسكندرية كما مر فى الفصل الأول .

ويجمل بى أن أعرض فى هذا المقام للإصلاح الفاسد الذى زعمه الكماليون وفساده أتى من فصلهم الدين عن الدولة ، فالدين الإسلامى كما يعلم كل من له أقل إلمام به ليس بقاصر على صلاة وصوم ولكنه دين سياسة وتنظيم للمجتمع فكتب الفقه تبدأ بالعبادات ، ولكنها تشمل المعاملات العامة والخاصة والعقوبات والحظر والإباحة ، وكتب السير تبحث فى الحرب وأحكامها وما يترتب عليها والغنائم ومعاملة غير المسلمين مع مراعاة حقوقهم وحفظ ذمتهم ، وإجمالا أقول : إن الدين الإسلامى فيه كل ما يراد من تحقيق مجتمع إنسانى مثالى سعيد ولا يطلب فصل الدين عن الدولة إلا الذى لا يعرف ما هو الدين الإسلامى .

ومما لا شك فيه أن هذا الحدث أهم أحداث حياته فقد انتقل فيه من سعة دنيوية فانية إلى ضيق ، ولكن العكس حدث فيما يتعلق بالآخرة وهى خير وأبقى ففضلا عن أجر مهاجرته إلى الله ورسوله ، فقد انتقل من أفق تركى قاصر على دولة واحدة إلى أفق عالمى يشمل كل المسلمين – وذلك أن وجوده فى مصر هيأ له الاتصال بعلماء الإسلام في كثير من البلاد وهيأ له حرية القول والتأليف وهيأ له أن يكون له تلامذة من مختلف الأجناس والبلدان .

فأما الدنيا فقد غادرها . وقد مضى ضيقها الزائل وعسرها الفانى – وأما الآخرة فقد قام عليها حيث يلقى جزاء ما أفاد عباد الله وما علمهم وما نصح لهم به .

وهكذا ترك هذا العالم الجليل وطنه غضبًا لدين الله ولو نافق الكماليين لعاش معهم كما عاش سواه ، ولكنه فر بدينه إلى مستقبل غامض وتلقفته الأحداث بمصر فهو حينا يعيش من ترجمة الوثائق التركية بدار المحفوظات وآونة يعيش مما تجريه عليه وزارة الأوقاف من الخيرات وفى كل ذلك تراه صابراً راضيًا يشكر الله تعالى الذى حفظ عليه دينه . ولا يشكو مما كان يتعرض له أحياناً من نفر لاخلاق لهم من الأخلاق يحاربونه فى مرتبه الضئيل ويشنون عليه غارات شعواء انتهت كلها إلى أن أصبحت هباء وبقى الشيخ راسخا رسوخ الطود ماضيا فيما عاهد الله تعالى عليه من ذب عن دينه وحفظ لدعائم تنزيهه فلا يخرج من الدنيا حتى يكون سجل تعاليمه الخالدة النافعة الرائعة الناصعة فى سطور تآليفه وصدور تلاميذه .

* * *

الفصل الثالث
وصفه وصفًا دقيقًا

كان رحمه الله طويل القامة ضخم الهامة ممتلئ الجسم فى غير بدانة خفيف العارضين قصير اللحية أشيب الشعر جميل الصورة حديد السمع والبصر بديع الذاكرة جميل الخط ، فقد كان خطه يقرأ بسهولة لضبط قواعده وحرصه على مواضع النقط من الحروف فكأن دقته فى تحقيقاته وعلمه كانت تنعكس على الأوراق حين يرسم عليها حروفا ظاهرة جلية . وكان يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية والجركسية ، وكان إذا تكلم بالعربية تبدو عليه مسحة طفيفة من اللكنة الأعجمية ، ولكن كلامه كان واضحًا فى عامية العربية وفصيحها ، وإذا تكلم بالفصحى أقام الإعراب وفى بعض الأحيان كنت آخذ عليه تعبيرًا أو جملة فيقول : (أعجمى يا شيخ سيبك من نقده) حتى إذا ظننت أنى ظفرت به أتى بشاهد عربى يؤيد وجهة نظره ومن ثم أصبحت أنا وكثير من تلامذته لا نعارضه فى تعبير لثقتنا بأنه مستند فيه إلى شاهد لغوى متين . وبالجملة فقد كان عالى الأسلوب دقيق العبارة متين التركيب يختار من الألفاظ ما يحسن به أداء المعنى ، كما أنه كان يقول الشعر ولكنه لم يكن مبرزًا فيه تبريزه فى النثر ، وذلك لأنه لم يشغل نفسه به ولعله على حنفيته اقتدى فى هذا المقام بالإمام الشافعى [١] رضى الله عنه فى قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى   لكنت اليوم أشعر من لبيد [٢]

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس المتوفى بمصر فى سلخ رجب سنة ٢٠٤ وعلى قبره قبة يستجاب فيها الدعاء .

(٢) لبيد شاعر جاهلى مشهور أسلم وترك الشعر وهو من أصحاب المعلقات توفى سنة ٤١ .

وكان ذا ذاكرة فذة ولاسيما فى حفظ الأسماء فكان إذا سمع شيئًا أو رأى أحداً مرة واحدة ذكره ولو بعد سنوات وهيًّا له ذلك مع كثرة اطلاعه على المخطوطات النادرة فى الآستانة ومصر والشام أن يصبح حجة لا يبارى فى علم الرجال وجمع إلى براعته فى الحديث ورجاله مهارة فائقة فى علم الكلام وتنزيه الله سبحانه وتعالى ، كما كان أستاذ العصر فى علمى الأصول والفقه ، وكان على عبقريته المدهشة يسره أن يتعقبه العلماء – والمراد بالعلماء المدلول الصحيح لهذه الكلمة – وقد ظل يذكر السيد أحمد رافع الطهطاوى المتوفى سنة ١٣٥٥ بخير دائما مع أنه تعقب بعض تعاليقه فى ذيول تذكرة الحفاظ بمؤلفه (التنبيه والإيقاظ) (١) ولم يغضبه أبداً تأليف السيد أحمد لأن شيخنا كان يقصد من تعليقه النفع والإفادة وتعقب السيد أحمد كان كذلك .

وكان يرد على مهاجميه رداً يتفاوت بين جملة فى ثنايا كتاب وبين مؤلف خاص فقد اكتفى فى الرد على مؤلف تنبيه الباحث السرى (٢) بقوله فى ص ٤٨ من حسن التقاضى (يأتى فى فصل ذكر مؤلفاته) – : (فمن يشتبه فى شىء مما سطرناه . . . إلى قوله ويرثى لمن يطلق لسانه بكل عدوان فى أقدس مكان غير متصون مما يوجب تضاعف السيئات والله ولى الهداية) اهـ . يشير بذلك إلى أن مؤلف تنبيه الباحث السرى من سكان البلد الحرام والوقاع أن مؤلفه أراد أن يعاتب شيخنا على تعصبه للأحناف فتعصب فى تنبيهه للمالكية تعصبا شديداً ظاهراً فى مؤلفه .

كما أنه لما أراد أن يرد على طليعة التنكيل (٣) رد بمؤلفه الترحيب بنقد التأنيب – فلما رد معلق الطليعة على المترجم بكتابه (حول ترحيب

---

(١) اسمه الكامل التنبيه والإيقاظ لما فى ذيول تذكرة الحفاظ مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٤٨ فى ١٦٦ صفحة غير التصويبات .

(٢) طبع بمطبعة مصطفى الحلبى بمصر سنة ١٣٦٧ فى ٢٠٣ صفحة .

(٣) طبع بمطبعة الإمام بمصر سنة ١٣٦٨ فى ١١٢ صفحة .

الكوثرى بنقد تأنيبه) [1] وحشا كتابه سبًّا وشتمًّا ترفع المؤلف عن الرد عليه تنزهاً عن مجاراة المهاترة والسباب . ويلاحظ أن المؤلف لم يكتف بسب شيخنا فحسب ، ولكنه سب المصريين عمومًا الذين يزورون مقام الإمام الحسين عليه السلام بمصر ، والسباب ليس من شأن العلماء والسفه أولى بالجهلاء ، وقد مضى الكوثرى وسيمضى شاتموه بل سنمضى جميعًا ويبقى علم الكوثرى وسب شانئيه لتقارن الأجيال القادمة بينهما ، وحينئذ يتبين الغث من السمين ويتضح التافه من الثمين ، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

وقد عاش المترجم طول حياته خصما لابن تيمية [2] ومذهبه وسرد آراء الأستاذ يخرج بالترجمة عن القصد وهى مبسوطة فى كثير من تآليفه وتعاليقه ، وعلى الرغم من أن لابن تيمية بعض المشايعين الآن بمصر فإنه سيتبين إن عاجلا وإن آجلا ولو يوم تعرض خفايا الصدور ، أن ابن تيمية كان من اللاعبين بدين الله ، وأنه فى جل فتاواه كان يتبع هواه وحسبك فساد رأيه فى اعتبار السفر لزيارة النبى ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة [3] .

وقد كان المترجم فى كل ناحية تعرض لها بتأليف أو تعليق يفيد ويجيد وقد يكون هذا ميسوراً لغيره إذا راجع وبحث ، ولكن عبقرية المترجم كانت فى سرعة رده وحضور ذهنه فى كل ما يوجه إليه من أسئلة

---

(١) طبع بمطبعة الإمام بمصر فى ٧٢ صفحة .

(٢) هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانى ثم الدمشقى الحنبلى المتوفى بدمشق سنة ٧٢٨ .

(٣) انظر عبارته الوقحة بهذا النص فى ص ١١٨ من الجزء الأول من مجموع فتاواه طبع مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٦ ولابن تيمية عجائب غير هذه منها وقوعه فى الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكأنه أراد الجمع بين غلاة النواصب فى بغض على عليه السلام ومتطرفى الشيعة فى بغض عمر رضى الله عنه .

أثناء المحاورات العلمية المختلفة فكان دائمًا إما يقطع بالجواب الشافى أو يحيل إلى المرجع الوافى ، وكان إذا تكلم فى موضوع علمى تدفق كالنيل فى فيضانه – وحينئذ لست ترى المتكلم عالمًا واحداً بل ولا جماعة من العلماء ، وإنما هو دار كتب قيمة تعرض على روادها نفائسها فى دقة وترتيب وإبداع وأمانة .

* * *

تعصبه المزعوم

دعانى إلى جلاء هذه النقطة ما نسب إلى الشيخ من التعصب . والتعصب لا يعدو أن تكون غايته الاستمساك باليقين والذب عن الدين . فهذا : فرض لازم على كل مسلم لدينه وعقيدته أو أن يكون تعصبًا مذمومًا للهوى ونزغ الشيطان ، وهذا ما عصم الله تعالى أستاذنا منه . وكتبه وتآليفه شاهدة جميعها بأن تعصبه كان لله ورسوله – ونعم التعصب هذا فإن أبا حنيفة وأتباعه لم يخرجوا عن كونهم من الأمة ومن خير من دافعوا عن الدين الإسلامى – ورمى المترجم بالتعصب من خصومه مردود بأن مذمة الخصم معللة وتجريحه محجوج لخصومته وبغضه – والحالة الوحيدة التى قد يرتكز عليها بعض ذوى الهوى هى أن أحد تلامذته أشار إلى ذلك فى بعض مطبوعاته ولكن حتى هذه الحجة منهارة فإن ذلك التلميذ حرص بعد ذلك على التودد إلى المترجم والإفادة من علمه والتفاخر بالانتساب إليه إلى يومنا هذا مما يدل على اعتذاره مما قال والفعل يجب القول ؛ والآخر ينسخ الأول ؛ والحسنة تمحو السيئة .

وقد يقول متورع – وما أكثرهم حين لا يلزمون وأقلهم إذا ادلهم الخطب – قد يقول هذا المتورع المتزهد أفلا نمسك عن قوم مضوا ولعل لهذا السم المعسول بعض الوجه إذا كان أذى المؤذى مات بموته ولكن الطاعنين على أبى حنيفة لا تزال كتبهم موجودة على توالى القرون بل زاد انتشارها

بطبعها وقد تجد من يميل إلى زيفها فالرد عليها كفيل بقمع المفسد المتهور ونفع التائه المتحير — والغضب لله لا يكون تعصباً فإن رؤى بعد هذا أنه كذلك فنعم التعصب هذا لأن السفيه إن لم يغلظ له فى القول لا ينفك مصراً على سفاهته ولا يفتأ سادراً فى حماقته .

وأى ورع يكون فى الإمساك عمن يقول إن إمام ثلثى الأمة فتان هذه الأمة وإن جنازته ترى فى النوم عليها ثوب أسود وحولها قسيسون[١] — أو أن يلبس جلد كلب ويتوضأ بنبيذ ويقول إن هذه هى صلاة الأحناف [٢] .

وأى ورع يكون فيمن يقف ملجم اللسان من أجل سواد عينى الخطيب البغدادى [٣] أو إمام الحرمين [٤] اللذين لم يتورعا عن ذكر هذه المثالب القذرة التى لا تليق روايتها بحق عوام الناس وفساقهم فكيف بالإمام الجليل الذى تواضع الناس على إجلاله واتباعه جيلا بعد جيل .

ويُعذَرُ مضطرٌ إذا ضَاقَ ذَرْعُهُ ... فجرَّدَ صَمْصَامًا به يَتَذَرَّعُ
فإنَّ الذى تَعيا بهِ من حَماقةٍ ... سَتُقْنِعه حَتْمًا إذا تَتَدرَّعَ

* * *

(١) انظر ص ٤٥٣ — ٤٥٤ من الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد طبع مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩ .

(٢) انظر ص ٥٦ و ٦٨ من كتاب مغيث الخلق لإمام الحرمين المطبعة المصرية بمصر سنة ١٣٥٢ .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الشهير بالخطيب البغدادى توفى فى بغداد سنة ٤٦٣ وله تاريخ بغداد طبع بمصر فى أربعة عشر مجلداً وقع فى الجزء الثالث عشر منه وقيعة بذيئة فى إمامنا أبى حنيفة رضى الله عنه .

(٤) هو أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى المعروف بإمام الحرمين له كتاب مغيث الخلق فى ترجيح القول الحق جرح فيه مذهب الأحناف تجريحا كاذبا سخيفا .

زهده الفريد وعفافه النادر

كان الكوثرى فى زهده مثلاً حيًا لاسمه زاهد ،وكان فى عفافه مترفعا عن الدنيا وعن أهلها إلى حد قد لا يتصور – ولا أستسيغ أن أذكر هنا بعض ما أعرف من نوادر عفافه لأنه كان يستحى من ذكرها ويتأذى من الكلام عن عسره – ولذا يكفينى والله سبحانه وتعالى يعلم صدقى أن أقول إن المترجم كان على قلة ذات يده أعف من رأيت – وإذا كان التعفف عن الدنيا فى هذا الزمان أضحى متعسراً على الميسورين مستحيلا فى حق المملقين فإن الله سبحانه وتعالى أراد خرق هذه الاستحالة فأوجد لنا مُعْسِراً عفيفا – هو الزاهد الكوثرى .

ومن فضائله الجمة عزوفه التام عن المماكسة وقد كتب لى السيد حسام الدين القدسى يقول ضمن كتابه عن الأستاذ لما لقيه عند قدومه لدمشق أول مرة – فى دار الكتب الظاهرية (وعاشرته فرأيت من خلقه أنه لا يساوم بائعًا ولكن إذا تحقق من غشه تركه ولم يعامله . وأخبرنى الشيخ عبد الله الحمصى أنه كان فى مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية يعطى ثلاثة من المرضين ثلاثين قرشا يوميا ويعطى اثنين يساعدانه فى الحمام للغسل كل أسبوع مائة قرش لمرة واحدة يغتسل فيها فى الأسبوع ويساعدانه على تنظيف جسمه ؛ ويقول للشيخ عبد الله جرت عادة بعض المنتمين إلى سلك المشايخ أو العلماء على التقتير والشح والمساومة و . . . فيجب أن نقتلع من رؤوس الناس هذه الفكرة عنهم ا هـ) . قلت : وبهذه المناسبة أذكر أن سبب حرصى على التعرف إليه والتتلمذ عليه هو أنى لقيته بمكتبة المرحوم السيد محمد أمين الخانجى المتوفى سنة ١٣٥٨ وهو يلح على الخانجى فى أن يأخذ أكثر مما طلب ويقول له الكتاب يساوى أكثر وإنما أنت تحط من السعر لأجلى وهذا أمر لا أقبله والخانجى يصمم على الرفض ويقول إن الثمن الذى أطلبه فيه ربح لى . فعجبت من هذه المحاورة التى يندر

حدوثها قديما وينعدم حديثا وأحببت أن تكون لى صلة بهذا العالم الفاضل الذى لا يريد استغلال علمه فى أى ناحية مادية وقد تم لى ذلك بحمد الله وكنت أنا الفائز بتلقى العلم على علاَّمة عصره .

ومما هو مشهور بين عارفيه أنه كان لا يقبل أجراً على تعليمه أحداً ولا على تصحيحه كتابا بل كان يقول ما قاله للسيد حسام الدين القدسى لما عرض عليه مائة نسخة من كل كتاب صححه من مطبوعاته (هل يجتمع هذا مع الأجر فى الآخرة) فسكت القدسى .

ولما اشتدت به العلة فى أخريات أيامه وأرهقته أسباب العلاج شرع فى بيع كتبه وامتنع بتاتا من قبول المعاونات المادية التى عرضها عليه بعض الفضلاء من تلامذته .

وقد عرض عليه فى السنة الأخيرة من حياته أستاذان من أساتذة الجامعة هما أبو زهرة والخفيف أن يلقى بعض الدروس فى الشريعة بجامعة فؤاد الأول فاعتذر وألحا فأصر ؛ فلما عاتبته فى ذلك قال : إن هذين الفاضلين عرضا ما عرضاه لاطمئنانهما بأنى سأقوم بواجب التدريس كما ينبغى وصحتى لا تسمح لى بذلك الآن ولا أستحل لنفسى وقد أوشك الأجل على الانتهاء أن ألتزم القيام بأمر أثق بأنى عاجز عنه ا هـ . قلت : ولو أن كل مسلم امتنع من أخذ أجر ما لا يقوم به لامتلأت خزائن الدول الإسلامية ولاسيما الحكومة المصرية مما يتوفر لها من ذلك .

وقد ظل طول إقامته بمصر يؤلف ويدرس وينصح ويرشد ما وجد إلى ذلك سبيلا . وكان يشير على تلامذته بطبع النافع من الكتب ونشرها . وكان ممن سمع له السيد عزت العطار فطبع كثيراً من نفائس المخطوطات بإشارته .

وكان المغفور له الصديق النبيل الشيخ مصطفى عبد الرازق يجل أستاذنا ويبجله ولا غرو فالفضل يعرفه ذووه . ولما رأى شيخنا حرص شيخ

الأزهر على الإفادة من توجيهاته كتب تقريراً ضمنه ما يراه لإصلاح الأزهر وإحياء علم الحديث الذى اندثر من الديار المصرية بعد أن كان فيها أشهر حفاظه . ولكن موت الشيخ مصطفى فى ربيع الأنور سنة ١٣٦٦ جعل هذا التقرير يحفظ ضمن المهملات التى يحفظ فيها كل مشروع نافع فى مصر . ولا يزال التقرير موجوداً ولعل شيخ الأزهر الحالى وهو ممن يعرفون فضل شيخنا يعمل على بعثه والإفادة مما فيه والله ولى التوفيق .

* * *

الفصل الرابع

قصيدتى فيه وهى ٧٥ بيتا مع شرحها

١ - رُزْءٌ أناف بقَسْوَةٍ وتَجَبُّرٍ ... فَفَقَدْتُ منه تَجلُّدى وتَصَبُّرى
٢ - لم يقضِ ربى أن يُخَلَّد كائن ... فى هذه الدنيا فَفِيمَ تَكَدُّرى
٣ - والموت خاتمة الحياة وكلُّنا ... بحياتنا إيَّاه حتمًا نشترى
٤ - لكنَّ فِقْدان الأحبة كُرْبَة ... منها تَئِط النفسُ مما يعترى
٥ - ويخفف الظنُّ الجميلُ بربنا ... وقعَ الأسى من لهفةٍ وتحسُّر
٦ - ويهوِّن الْحُزنَ اليقينُ بأنهم ... فى جنة بشفاعة المدثر
٧ - من مات يؤمن بالإله وأحمدٍ ... شملته رحمةُ ربه المتكبر

* * *

٨ - الله فى سمعٍ تَلقَّى ناعيًا ... يأتى بمكروه الحديث مُنَفِّر
٩ - يَنْعىَ الأعِزَّةَ للفؤاد يُذيبُهُ ... فَتَخَالهُ كالواله المتحيِّر
١٠ - يَنْعىَ المروءةَ إذ نَعى لِىَ (زاهداً) ... يَنْعىَ التّقىَّ أخا الرجال الأبحُر
١١ - ينعىَ الشهامة والكرامةَ والوَفا ... والصدقَ والتحقيق غير مُعَذِّرِ
١٢ - ينعاه للإسلام أخلص مسلم ... فى عهدنا ولسامع أو مبصرِ

* * *

---

(١) أناف على الشىء أشرف عليه.

(٤) تئط تصوت من الثقل - ويعترى يغشى ويجئ. (٥) الأسى هنا الحزن.

(٧) صرف أحمد ضرورة.

(٩) فتخاله فتظنه - والواله من ذهب عقله من شدة الوجد.

(١١) قصر الوفاء ضرورة - معذر بكسر الذال المشددة اسم فاعل من عذر فى الأمر قصر بعد جهد.

المنشأ

١٣ - يا ابْنَ الأُلى هَجَرُوا القُفازَ بدينهم　　واستوطنوا الأناضُولَ حين الْمَهْجَرِ
١٤ - فولدت فيه بين قوم جاهدوا　　وَوَرِثْتَ منهم دين طهَ الأقْمَرِ
١٥ - وَدَرَسْتَ فى دار السعادة طالبا　　وَنَهِلْتَ منها الصفو غير مُعكَّرِ
١٦ - ونشأتَ فيها عالمًا ومعلما　　وحييت مثل الشمس بين الأنهر
١٧ - ووليت خير مراتبٍ بجدارة　　ووقفت فيها وقفة الْحُرِّ الجرى
١٨ - ونشرت علْمًا طول عمرك داعيا　　كل الأنام إلى الصراط الأنور
١٩ - أشرقت شمسًا فى مدينة قيصر　　وأتيت تغربُ فى محيط الأزهر

جهاده وآلامه

٢٠ - يا مَنْ حييتَ مجاهداً بعقيدةٍ　　لا تُسْتَخَفُّ بزُخْرُفٍ ومُقَنْطَرِ

---

(١٣) القفاز أو القوقاز أو القفقاس بلاد فى جنوب شرق أوربة كانت للمسلمين ثم غلبهم عليها الروس فى القرن الماضى فغادرها المسلمون بعد حروب طويلة وكان والد المترجم ورهطه فيمن هاجروا واستوطنوا الأناضول ويعرف بآسيا الصغرى ويشغل الآن معظم الجمورية التركية أو كلها الآسيوى والكلمة يونانية الأصل ومعناها مطلع الشمس لأنها تقع فى شرق بلاد اليونان ويفصل بينهما بحر إيجه.

(١٤) الأقمر الأبيض وهو كناية عن حسنه ﷺ.

(١٥) دار السعادة من أسماء الآستانة وفيها تعلم المترجم وعلم – ونهلت من النهل وهو الشرب الأول.

(١٦) الأنهر جمع نهار وفيه تكون الشمس.

(١٧) الجرئ بالمد والهمزة التى حذفت للضرورة.

(١٩) مدينة قيصر من أسماء الآستانة وصرف قيصر ضرورة ومحيط الأزهر كناية عن القاهرة التى فيها الأزهر وفيها توفى المترجم – وأشرقت كناية عن أشرقت الشمس أى أضاءت خلافا لشرقت أى طلعت وذلك لأن المترجم لم يولد فى الآستانة وإنما اشتهر فيها بعد تخرجه.

(٢٠) الزخرف – الذهب والمقنطر المكمل والمضعف والمراد بهما زينة الدنيا الزائفة.

٢١ - والناس للدنيا عبيدٌ قلَّما يَرْضَى الأنامُ بقلَّة وَتَعَسُّرِ
٢٢ - والزهد مزهودٌ ومعظمُ أهله يَحْيَوْنَ فى الإمْلاَق دونَ تَخَيُّرِ
٢٣ - ولذَاكَ كُنْتَ الفَذَّ قَلَّ مَثيلُهُ فى زُهْده من معرب أو عبقرى
٢٤ - قاومْتَ كلَّ منافق بنزاهة فى قوة وحماسة وَتَسَيْطُرِ
٢٥ - وَظَلَلْتَ تَرْدَعُ من يَحيفُ بشدَّة عن كُلِّ إفساد وكل تَجَبُّرِ
٢٦ - كم آلَمُوكَ وعذَّبُوكَ لجَهْلهمْ لمَّا رأَوْكَ الشَّهْمَ غيرَ مُسَيَّرِ
٢٧ - فتركتها لما رأيتَ هَواهُمُ أضحَى به الإسلامُ شبه مُكَفَّرِ
٢٨ - وَفَررْتَ تَبْغى وَجْهَ ربِّك راضيًا عمَّا قَضَاهُ بقسْمَة وَمُقَدَّرِ
٢٩ - وَحَلَلْتَ أرضَ النيلِ ضَيْفًا مُكْرَمًا وغدا نزيلَ النيلِ سبطُ الكوثرِ
٣٠ - والنيلُ يُكْرِمُ ضَيْفَهُ وبلاَدُهُ كَمْ رَحَّبَتْ بالضيف دون تَعَيُّرِ
٣١ - فوجدتَ أقوامًا يرونك قُدوة فغذوتهم فضلا بنصح مثمر
٣٢ - ولقد أساءك فى الكنانة معشرٌ وأبى كرامُهُمُ هَوَانَ مُعَمَّرِ
٣٣ - فاترك لئام الحاقدين بغيظهم واذكر مآثر (مصطفى) الشهم الثرى

---

(٢٢) الإملاق الافتقار.

(٢٣) الفذ الفرد. والعبقرى: الجيد القوى العجيب فى حذقة.

(٢٥) يحيف يجور ويظلم.

(٢٧) المكفر بضم أوله وفتح الكاف وفتح الفاء المشددة المجحود النعمة مع إحسانه وكذلك أصبح دين الإسلام فى نظر الدولة التركية الحديثة حيث أحلوا محله القوانين الغربية.

(٢٩) الكوثر هنا هو جد المترجم وفيه تورية بنهر الجنة المشهور.

(٣٠) التعير بالعين المهملة اقتراض الماعون والأمتعة ونحوها.

(٣٢) الكنانة كناية عن مصر للحديث المشهور وهو وإن لم يصح عند المحدثين إلا أن المأمول فى كرم الله تعالى تحقيق ما فيه.

(٣٣) هو الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر المتوفى فى ربيع الأنور سنة ١٣٦٦ وكان يعرف فضل المترجم وينزله منزلته ويمنع عنه أذى معاكسيه سواء يوم كان وزيراً للأوقاف أو حينما كان شيخًا للأزهر غفر الله لهما.

٣٤ - واذكر سِواهُ من الأُلى نَالوا العُلاَ   فغدت محامِدُهُمْ حديث مُذَكِّرِ
٣٥ - والله لن ينسى مروءةَ (يوسف)   وشهامةَ (اللبَّان) يوم المحشر

* * *

فضـــله وعلمـــه

٣٦ - قد خَلَّدَتهُ على الزمانِ مآثرٌ   والخُلْدُ ليس على الوَرَى بمُيَسَّرِ
٣٧ - رَفَعَتْهُ فوق مناكبٍ بجدارةٍ   وسَمَتْ به فازدان بين المعشر
٣٨ - رَغِمَتْ أُنوفُ الحاسدين بعلمه   وبحسن سيرته وصدق المخبر
٣٩ - قد عاش آية ربه في عقله   سبحانه الوهاب فاسمع وانظر
٤٠ - في فقهه كالبَزْدَوِىِّ محمدٍ   أو مثل (عبد الله) أو كالكرْدَرِى
٤١ - وإذا تكلم فى الرجال فإنما   (يحيى) يُحَدِّثُ بالغَزير الأَوْفَرِ
٤٢ - وإذا تعرَّض للعقَائد فاحصًا   فمحمدٌ إن شئتَ أو كَالأشعرى

* * *

(٣٥) صرف يوسف ضرورة وهو الشيخ يوسف الدجوى المالكى المتوفى فى صفر سنة ١٣٦٥ - واللبان هو الشيخ عبد المجيد السنديونى الشافعى المتوفى فى ذى القعدة سنة ١٣٦١ ومروءة الدجوى هى أنه شاطر المترجم منزله فى عزبة النخل وأصر على أن ينزله عنده إبان اشتداد الغارات الجوية فى غضون الحرب العالمية الأخيرة إذ كانت العباسية حيث يقطن المترجم هدفا للغارات الجوية، وأما شهامة اللبان فقد كان يحول دائما بين المترجم وبين شانئيه الذين كانوا يحاربونه فى مرتبه ويسعون فى إخراجه من مصر فخاب فألهم ومرءوة اللبان وبنيه يشهد بها كل من يعرفهم.

(٣٦) الورى الخلق.

(٣٧) المناكب جمع منكب وهو مجتمع عظم العضد والكتف وحبل العاتق.

(٤٠) البزدوى هو الصدر أبو اليسر محمد المتوفى سنة ٤٩٣ وعبد الله هو أبو البركات النسفى المتوفى سنة ٧٠١ وقيل ٧١٠ والكردى هو محمد بن عبد الستار المتوفى سنة ٦٤٢ وثلاثتهم من عيون فقهاء الأحناف.

(٤١) يحيى هو ابن معين المتوفى سنة ٢٣٣ بالمدينة حاجا وكان أعلم الناس برجال الحديث.

(٤٢) محمد هو أبو منصور الماتريدى المتوفى سنة ٣٣٣ - والأشعرى هو أبو الحسن المتوفى سنة ٣٢٤ وكانا ولا يزالان إمامى أهل السنة فى علم التوحيد.

٤٣ - أَلَّفْتَ فى نصر الشريعة صادقًا   كُتُبًا أفادتْ فى انقماع المجترى
٤٤ - نزَّهْتَ ربك حسبما أمرت به   آىَ الكتاب وسنة البدرِ السرى
٤٥ - سجلت علمك فى الطروس مخلَّداً   ما بين مخطوط وبين مُنَشَّرِ
٤٦ - أحْقَقْتَ فى (الإشفاق) شرع محمد   وغَلَبْتَ فى (الإحقاق) كُلَّ مُظَفَّرِ
٤٧ - ثم انبريت مبيِّنًا كذب (الخطيـ   ـب مُؤَنِّبًا) فَغَدَوْتَ نعم المُنْبَرِى
٤٨ - وجَلَوْتَ زيْفَ مزاعم فى (نظرةٍ)   عَبَّرْتَ فيها الحق خيرَ مُعَبَّرِ
٤٩ - وأبنْتَ فى (النُكَتِ الطَرِيفة) مُنْصِفًا   آراء شيخك صادقًا لا تمترى
٥٠ - وحَوَيْتَ فى (الحاوى) مناقب صالح   وهديت (بالنبراس) هَدْىَ غَضَنْفَرِ
٥١ - ومحقت فى (محق التقول) باطلا   وأضأت (الاستبصار) للمستبصر
٥٢ - ونشرتَ فى (حُسْنِ التقاضى) سيرة   أرجَتْ كجوٍّ بالعبيرِ مُعَطَّرِ
٥٣ - أنْصَفْتَ فى (الإمتاع) شيخى أمّةٍ   وجعلت من (زُفَرَ) الشَّذَا كالأذْفَرِ
٥٤ - وبَلَغْتَ قبلاً بالإمام محمد   أمد (الأمانى) من وكور الأنْسُرِ
٥٥ - فاهنأ بما خَطَّتْ يمينك مخلصا   فى مصر أو فى الشأم أو أقْشَشْهَرِ

(٤٣) المجترئ بالهمزة وحذفت للضرورة، والانقماع القهر والإذلال.
(٤٤) السرى السخى فى مروءة.
(٤٥) الطروس جمع الطرس وهو الصحيفة التى يكتب فيها والمنشر كناية عن المطبوعات لانتشارها.
(٤٦) هذا البيت والأبيات التالية له لغاية البيت ٥٤ يرد فيها بعض أسماء مؤلفات الأستاذ - انظرها وسواها فى الفصل التالى.   (٤٩) تمترى تشك.
(٥٠) الهدى بفتح فسكون السيرة - والغضنفر الأسد والمراد الدمرداش المحمدى.
(٥٢) أرجت توهج ريح طيبها والعبير أخلاط تجمع بالزعفران وقيل هو الزعفران وحده.
(٥٣) الشذا حدة ذكاء الرائحة - والأذفر المسك والمراد الإشارة إلى مؤلف الأستاذ لمحات النظر.
(٥٤) الأنسر جمع نسر طائر معروف من الجوارح يعيش فى رؤوس الجبال.
(٥٥) أقششهر أو أقشه شهر ميناء دوزجه وهى مدينة فى الأناضول بجوارها قرية الحاج حسن التى ولد فيها المترجم.

٥٦ - واعلم بأن الله جل جلالُه ارضاهُ ما أبْدَعْتَه من أسطر
٥٧ - فافرح بجيرةِ من نصرت كتابه وامرح بجنته وفُزْ واستبشر
٥٨ - وهناك حَيِّ المصطفى وصحابه وارفل هنيئًا فى الحرير الأخضر

* * *

حبة لمذهبه

٥٩ - أَحْيَيْتَ علْمَ أبى حنيفة فى الورى وَجَلَوْتَ ما أخفاه منه الممترى
٦٠ - بَيَّنْتَهُ بين الأنام مجاهدا وموضحا فضلَ الفقيه الأشهر
٦١ - أَلْقَمْتَ خُصمانَ للإمام حجارة فى شدة ونفاسة كالجوهر
٦٢ - وَرَدَدْتَ كيدَهُمُ وربَّ معاندٍ ظَلَّتْ سفاهَتُهُ طَوَال الأعصر
٦٣ - حتى انبريت له بأقوى حجةٍ وجعلت قولته حديث المزدرى
٦٤ - أمسيت بين رجال مذهبك السُّنى كالبيهقى الشافعى المسفر
٦٥ - أحببت أتباع الإمام بأسرهم ونفحت بينهمُ شذًا كالعنبر
٦٦ - ولطالما علمتنى ونصحت لى وأمرتنى بالعُرْف دون المنكر
٦٧ - ولَئِنْ رَثَيْتُكَ ما حَيِيتُ فإنما بعض الجميل أردُّ غير مُزَوِّرِ

* * *

---

(٥٧) المرح بالميم شدة الفرح بالفاء.
(٥٨) رفل فى ثيابه أطالها وجرها متبخترا.
(٥٩) الورى الخلق كما مر - والممترى المتشكك.
(٦١) خصمان بضم أوله جمع مخاصم مثل خصماء.
(٦٣) انبريت له اعترضت له.
(٦٤) البيهقى هو أبو بكر أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٥٨ وفيه إشارة إلى ما قيل من أنه ما من شافعى إلا وللإمام الشافعى عليه منة ما عدا البيهقى فإن له منة على الشافعى بما ألف فى الذب عنه والدفاع عن مذهبه وكذلك كان المترجم يدافع عن مذهبه والضرورة توجب تخفيف ياء السنى.
(٦٥) نفح الطيب فاح والشذا حدة ذكاء الرائحة.
(٦٦) العرف بضم العين المعروف.

الخاتمة

٦٨-يامعشر الأحناف مات فقيهكم من كان يدفع عَنكُمُ من يفتري
٦٩- إني لأخشى أن يعز شبيهُهُ في الدين والتقوى وطيب العنصر
٧٠-ويُطيفُ بي حزني فأذكر حكمة نُظِمَتْ وكررها حديث السُّمَّرِ
٧١- (حَلَفَ الزمان ليأتين بمثله) (حنثت يمينك يا زمان فكَفِّرِ)
٧٢- إني وإن أوتيتُ كلَّ فصاحة وبلاغة فرثيْتُ غير مُقَصِّر
٧٣-لَمغلَّبٌ عن وصف ما شاهَدْتُهُ وعرفته من طيِّبٍ ومُطَهَّرِ
٧٤-كيف الإحاطةُ بالفضائل والحجا والعلم والإخلاص دون تَعَثُّرِ
٧٥- ولذاك أَحْصَرُ في الكلام وإنما حسبي إذا أنا قلت (مات الكوثري)

* * *

(٧٠) يطيف بضم أوله يقارب ويلم – السمر الذين يتحدثون بالليل ويلاحظ أن غالب اجتماعات الناس يكون ليلا لاشتغالهم بالنهار .

(٧١) هذا البيت ليس من نظمي وإنما هو مضمن ولا أعرف قائله .

(٧٣) المغلب بفتح اللام المشددة المغلوب مراراً .

(٧٤) الحجا – العقل – تمت القصيدة وشرحها .

الفصل الخامس

فى بيان مؤلفاته وتقدماته وتعاليقه ومقالاته

تنقسم مؤلفات الأستاذ إلى قسمين رئيسيين ، أولهما : ما ألفه قبل هجرته من الآستانة ، والثانى : ما ألفه بعدها والغالب على القسم الأول أنه مخطوط ، والثانى على العكس : كما أن مؤلفات القسم الأول لا ندرى عنها شيئًا سوى إرغام المريد الذى أهدى منه نسخًا لتلامذته .

* * *

القسم الأول

١– نظم عوامل الإعراب (باللغة الفارسية) وهو أول مؤلفاته . مخطوط

٢– إزاحة شبهة المعمم عن عبارة المحرم . مخطوط

٣– الجواب الوفى فى الرد على الواعظ الأوفى . مخطوط

٤– تفريح البال بحل تاريخ ابن الكمال . مخطوط

---

(٢) لشيخ يدعى المحرم شرح على شرح عبد الرحمن الجامى على كافية ابن الحاجب فى النحو فيه عبارة فى باب الندبة فى المنصوبات رأى أحد زملاء الشيخ شطب أسطر منها ليستقيم المعنى فى نظره وكان رأى الشيخ إبقاء العبارة كما هى بتأويل مستساغ تصح معه العبارة فألفها رسالة فى نحو عشر صفحات .

(٣) فى ساحل البحر الأسود بلد يسمى أوف معروف بكثرة الوعاظ فقصد أحدهم بلدة الأستاذ واشتهر بحسن الإلقاء وكان يقسو على الصوفية وفى يوم أوغل فى وعظه بعد الظهر وكان الشيخ وقتئذ يناصرهم فاختلى فى غرفته حتى أتم رسالة فى الرد عليه فى نحو ٢٠ صفحة وقدمها قبيل ظهر اليوم التالى إلى الواعظ فكأنما ألقمه الحجر وأقلع عن الكلام فى الصوفية .

(٤) لابن الكمال لغز تاريخى اخترعه يذكر فيه الأسداس والأرباع ونحو ذلك كان يقول فى الربع الثانى من العام الثالث من العقد الرابع من الثلث الثالث وهكذا ورسالة الأستاذ هى حل لذلك اللغز ببيان ووضع جداول لشرح المقصود .

٥– الصحف المنشرة فى شرح الأصول العشرة لنجم الدين الطامة الكبرى . مخطوط

٦– ترويض القريحة بموازين الفكر الصحيحة فى المنطق . مخطوط

٧– قرة النواظر فى آداب المناظر . مخطوط

٨– النظم العتيد فى توسل المُريد طبع بآخر تاليه فى ٦ صفحات .

٩– إرغام المرَيد فى شرح النظم العتيد لتوسل المُريد طبع فى الآستانة سنة ١٣٢٨ فى ١١٤ صفحة غير الفهرس والتصويبات .

١٠– إصعاد الراقى على المراقى . مخطوط

١١– النقد الطامى على العقد النامى على شرح الجامى . مخطوط

١٢– الفوائد الكافية فى العروض والقافية . طبع وليس عليه اسم المؤلف .

١٣– تدريب الوصيف على قواعد التصريف . مخطوط

١٤– تدريب الطلاب على قواعد الإعراب . مخطوط

١٥– حنين المتفجع وأنين المتوجع قصيدة فى ويلات الحرب العظمى الأولى طبعت .

---

(٦) نشر اسم هذا الكتاب فى ترجمة الأستاذ فى تأنيب الخطيب (بمناهج) بدل (بموازين) كما أملى على ولما سألته عن الصحيح قال إنه لا يستطيع الجزم بذلك الآن وإنما كل ما يذكره أنه ترجمة كتاب معيار سداد الذى ألفه بالتركية الوزير جودت باشا فى المنطق .

(٧) هو ترجمة كتاب آداب سداد الذى ألفه بالتركية جودت باشا أيضا فى المناظرة .

(٨) ألفه سنة ١٣١٨ وهو فى ٣٤ بيتا . (٩) ألفه سنة ١٣٢٠ .

(١٠) يتضمن تخريج أحاديث مراقى الفلاح ومواضع الإشكال فى الكتاب المذكور .

(١١) للشيخ محمد رحمى الأكينى من علماء الآستانة (العقد النامى) فى مجلد فى التعليق على الفوائد الضيائية شرح الكافية لعبد الرحمن الجامى نفذه الأستاذ وسمى نقده (النقد الطامى) . فى النحو .

(١٢) هكذا أملى على (الكافية) ولكن جاءت الكلمة فى آخر الاستبصار (ص٣٧) (الوافية) .

١٦- إبداء وجوه التعدى فى كامل ابن عدى . مخطوط

١٧- نقد كتاب الضعفاء للعقيلى . مخطوط

١٨- التعقب الحثيث لما ينفيه ابن تيمية من الحديث . مخطوط

١٩- البحوث الوفية فى مفردات ابن تيمية . مخطوط

٢٠- الروض الناضر الوردى فى ترجمة الإمام الربانى السرهندى المتوفى سنة ١٠٣٤ ألفه بقسطمونى وهو الكتاب الوحيد الذى ألفه باللغة التركية . مخطوط

٢١- المدخل العام لعلوم القرآن مخطوط فى مجلدين ألفه بالآستانة وهو أهم مؤلفاته مطلقًا لما فيه من التقصى والمقارنة والبحث سواء من ناحية الموازنة بين المفسرين بالرواية والمفسرين بالدراية ومسالكهم وفيما يتعلق بجمع القرآن فى أدواره الثلاثة (النبى عليه الصلاة والسلام - وأبى بكر - وعثمان رضى الله عنهما) وما يتعلق برسم القرآن وقراءاته الأربع عشرة وطبقات قرائه والإلمام العام بما ألف فى القراءة والرسم وتراجم المفسرين وذلك على توالى القرون ، ولم يكن الشيخ يأسف على شىء أسفه على ضياع هذا الكتاب الذى لا يدرى مآله ، ولعل الله يسهل العثور عليه فقد أخبرنى الأستاذ محمد سامى الخانجى أن كتب الشيخ التى كان يملكها ظهرت أخيرًا فى الآستانة بعد انقضاء ثلاثين سنة على اختفائها عقب هجرته مما يدل على أنها كانت محفوظة ولعل المدخل يظهر يوما - ويلاحظ : أن ما ذكر ألف بعضه بالآستانة والبعض بدوزجة أثناء العطلة المدرسية والبعض بقسطمونى .

* * *

---

(١٨) تعقبه فيما نفاه فى كتابه منهاج السنة من ورود أحاديث فى بعض المواضع مغالطة مع ورود أحاديث فيها .

القسم الثانى

١– رفع الريبة عن تخبطات ابن قتيبة . مخطوط

٢– صفعات البرهان على صفحات العدوان طبع فى دمشق بمطبعة الترقى سنة ١٣٤٨ فى ٥٤ صفحة .

٣– الإشفاق على أحكام الطلاق طبع فى مطبعة مجلة الإسلام فى ١٠٤ صفحة .

٤– بلوغ الأمانى فى سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى طبع ضمن الرسائل النادرة التى كان يطبعها الخانجى سنة ١٣٥٥ فى ٧٢ صفحة غير الفهارس والتصويبات .

٥– التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز طبع بمطبعة الأنوار سنة ١٣٦٠ فى ٤٧ صفحة .

٦– تأنيب الخطيب على ما ساقه فى ترجمة أبى حنيفة من الأكاذيب طبع سنة ١٣٦١ فى ٢٠٠ صفحة غير مقدمة حافلة فى ترجمة الأستاذ .

٧– إحقاق الحق بإبطال الباطل فى مغيث الخلق طبع بمطبعة الأنوار سنة ١٣٦٠ فى ٦٦ صفحة .

---

(١) رد به على ابن قتيبة فى مؤلفه مختلف الحديث الذى وقع فيه فى التشبيه والطعن فى أبى حنيفة والنقل عن كتب أهل الكتاب واصفًا إياها بالصحة كقوله التوراة الصحيحة والإنجيل – ألفه أوائل مجيئه مصر .

(٢) نقض به ما كتبه السيد محب الدين الخطيب فى مجلة الزهراء .

(٣) رد به على نظام الطلاق للشيخ أحمد شاكر .

(٥) وهو ثبته ذكر فيه أسانيده وشيوخه وشيوخهم وترجم لكثير منهم وفيه على صغره فوائد جمة .

(٦) رد به على مفتريات الخطيب البغدادى فى الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد عند ترجمته إمامنا أبا حنيفة مع تذييل فى الرد على ما جاء فى حق أبى يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلؤى .

(٧) رد به على مطاعن إمام الحرمين فى مؤلفه مغيث الخلق التى افترى فيها على الأحناف . (١١ و ١٢) ملخصهما دحض المزاعم المنتشرة بين بعض أرباب الأثبات بخصوص معمرين أعماراً وهمية تبلغ المئات من السنين واستعارهما منه الأيوبى بالشام فى رحلته الثانية وبقيا عنده .

٨– أقوم المسالك فى بحث رواية مالك عن أبى حنيفة ورواية أبى حنيفة عن مالك طبع فى آخر إحقاق الحق فى الصفحات ٦٧ – ٧٢ .

٩– تذهيب التاج اللجينى فى ترجمة البدر العينى المتوفى سنة ٨٥٥ لخصها طابع شرحه للبخارى وطبعها بأوله .

١٠– الاهتمام بترجمة ابن الهمام المتوفى سنة ٨٦١ لم يطبع .

١١– عتب المغترين بدجاجلة المعمرين . مخطوط

١٢– تحذير الخلف من مخازى أدعياء السلف . مخطوط

١٣– قطرات الغيث من حياة الليث المتوفى سنة ١٧٥ . مخطوط

١٤– الحاوى فى سيرة الإمام أبى جعفر الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١ طبع بمطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨ فى ٤٣ صفحة .

١٥– فصل المقال فى بحث الأوعال ثم سماه فصل المقال فى تمحيص أحدوثة الأوعال . مخطوط

١٦– البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية . مخطوط

١٧– نظرة عابرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام . مطبعة أمين عبد الرحمن ١٢٦٢ فى ٦٧ صفحة غير التصويبات .

١٨– نبراس المهتدى فى اجتلاء أنباء العارف دمرداش المحمدى المتوفى سنة ٩٢٩ مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٤ فى ٣١ صفحة .

---

(١٥) يتضمن الكلام على الحديث الخرافى القائل بأن حملة العرش أوعال وكانت قامت له ضجة فى مصر منذ نحو ١٢ سنة .

(١٦) ألفه ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ بإشارة الشيخ عبد الخالق الشبراوى المتوفى فى سنة ١٣٦٦ وترجم فيه لثلاثة عشر شيخًا خلوتيا فى ١٠ صفحات كبيرة وعندى الأصل الذى بخط المؤلف ونسخت له صورة أرسلتها إليه .

١٩– النكت الطريفة فى التحدث عن ردود ابن أبى شيبة على أبى حنيفة مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٥ فى ٢٧٣ صفحة .

٢٠– رفع الاشتباه عن مسألتى كشف الرؤوس ولبس النعال فى الصلاة طبع سنة ١٣٩٦ فى ٢٤ صفحة .

٢١– ترجمة العلامة محمد منيب العنتابى المتوفى ١٢٣٨ مخطوطة .

٢٢– من عبر التاريخ طبع سنة ١٣٦٧ فى ٣٢ صفحة نشره السيد عزت العطار .

٢٣– حسن التقاضى فى سيرة الإمام أبى يوسف القاضى المتوفى سنة ١٨٢ مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨ فى ١٠٣ صفحة .

٢٤– لمحات النظر فى سيرة الإمام زفر المتوفى سنة ١٥٨ مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨ فى ٣٠ صفحة .

٢٥– الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد المتوفى سنة ٢٠٤ وصاحبه محمد بن شجاع المتوفى سنة ٢٦٦ مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨ فى ٧٠ صفحة .

٢٦– الترحيب بنقد التأنيب نشرته مكتبة الخانجى سنة ١٣٦٩ فى ٥٢ صفحة .

٢٧– محق التقول فى مسألة التوسل مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٩ فى ١٨ صفحة .

---

(١٩) ادعى ابن أبى شيبة مخالفة أبى حنيفة لأحاديث صحيحة فى ١٢٥ مسألة من أمهات المسائل الاجتهادية فقام هذا الكتاب بتمحيص أدلة الطرفين كاشفاً عن كثير من الحقائق فى تفاوت مدارك الفقهاء وأطوار الفقه الإسلامى مما له خطره عند الباحثين .

(٢١) ألفها فى رمضان سنة ١٣٦٧ بناء على طلب الفقير .

(٢٢) تضمنت بحث ٨ مسائل تاريخية .

(٢٦) رحب فيه بالنقد الذى هدد به مؤلف طليعة التنكيل وقد مر ذكر ذلك .

(٢٧) نفى فيه الشرك المزعوم عمن يتوسلون برسول الله ﷺ وآل بيته وهم الوسيلة الحقة .

٢٨– تعطير الأنفاس بذكر سند ابن أركماس طبع ضمن مجموعة سنة ١٣٦٩ مطبعة الأنوار من ص ٩ إلى ص ١١ .

٢٩– الإفصاح عن حكم الإكراه فى الطلاق والنكاح طبع ضمن المجموعة السابقة من ص ١٢ إلى ص ١٦ .

٣٠– الاستبصار فى التحدث عن الجبر والاختيار طبع بمطبعة الأنوار فى ذى القعدة سنة ١٣٧٠ وهو آخر ما نشره من مؤلفاته رضى الله عنه . ولعله آخرها تأليفاً .

فجملة مؤلفاته التى أفردها هى ٥١ مؤلفاً كما مر ذكره [١] . على أن هناك مؤلفات سماها ولكنها طبعت ضمن الكتب التى كانت مؤلفات الأستاذ بمثابة التعاليق والحواشى لها وأذكر من ذلك :

١– لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ وهو مقدمة وتعاليق على كتاب الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة طبعه القدسى بمطبعة السعادة بمصر فى ٨٦ صفحة بما فى ذلك الفهارس سنة ١٣٤٩ .

٢– تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم وهو مقدمة وتعاليق على كتاب السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل للسبكى الكبير مطبعة السعادة سنة ١٣٥٦ فى ١٩٢ صفحة غير الفهارس والتصويبات وكلمة الناشر .

* * *

(٢٨) ألفه بناء على طلب الأخ الفاضل الحاج إبراهيم الختنى من علماء المدينة المنورة ولم يحتفظ المؤلف بصورة فلما استنسخت صورة من الأصل بالمدينة المنورة نقلت له صورة طبع عليها .

(٣٠) رد فيه على الشيخ مصطفى صبرى التوقادى نزيل مصر والذى كان شيخا للإسلام بالدولة العثمانية .

(١) جاء فى ترجمته فى أول طبقات ابن سعد ذكر مؤلفين هما :
١– تاريخ مذاهب الفقهاء وانتشارها .
٢– تاريخ الفرق وتأثيرها على المجتمع .
ولم يذكرهما المترجم لى ولذا لا أدرى أين ألفا ولا أعلم شيئًا عنهما .

تقدماته وتعاليقه

لأستاذنا الكوثرى رضى الله عنه تقدمات وتعاليق على كثير من الكتب النافعة وسأكتفى بالكلام على ثلاث منها ثم أسرد أسماء الباقى نقلا عن آخر مؤلفاته الاستبصار حيث سردها فى آخره :

١- مقدمته الحافلة القيمة على نصب الراية لأحاديث الهداية للحافظ الزيلعى المتوفى سنة ٧٦٢ طبع بمصر سنة ١٣٥٧ وتقع من ص ١٧ إلى ص ٤٩ ثم من ص ٥٧ إلى ص ٦٠ من الجزء الأول وتعتبر تاريخًا للفقه ومنشأ تطوراته . فقد استهلها بكلمة عن فقه أهل العراق ثم استطرد إلى الرأى والاجتهاد ثم تكلم عن الاستحسان وانتقل إلى شروط قبول الأخبار ثم استعرض منزلة الكوفة من علوم الاجتهاد وذكر ٣٣ حِبْرًا من أصحاب على عليه السلام وابن مسعود بالكوفة ثم انتهى إلى طريقة أبى حنيفة فى التفقيه وذكر ٩٦ حافظًا من كبار المحدثين الأحناف وانتهى بكلمة فى كتب الجرح والتعديل والواقع أن هذه المقدمة تعتبر دستوراً جليلا ومدخلا مضيئًا للفقه الإسلامى .

٢- مقدمته لكتاب المقدمات الخمس والعشرون ..... من دلالة الحائرين لابن ميمون الفيلسوف الإسرائيلى المتوفى سنة ٦٠٥ طبع مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٩ . ومقدمة الأستاذ تقع من ص ٣ إلى ص ٢٣ وفيها عدة أبحاث نفيسة خصوصًا عن الشخصيات الإسرائيلية فى تاريخ الإسلام مع استطرادات مفيدة نافعة .

٣- تعليقة قيمة على مادة (الجركس) فى تعريب دائرة المعارف الإسلامية وتقع تعليقة الأستاذ فى المجلد السادس ص ٣٤٥ إلى ٣٥٠ - أراد بها تصحيح ما ورد فى الدائرة المذكورة عن الجركس فأجاد وأفاد على عادته . أما باقى تقدماته وتعاليقه فقد ذكر فى ص ٣٨ من مؤلفه الاستبصار بعد سرد أسماء مؤلفاته ما نصه : ومما قدم له وعلق عليه :

١- الغرة المنيفة للسراج الغزنوى الهندى فى تحقيق نحو مائة وسبعين مسألة رداً على الطريقة البهائية للفخر الرازى .

٢- دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .

٣- رسالة أبى داود السجستانى فى وصف سننه .

٤- مناقب أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد بن الحسن للذهبى ومعها أيضا تعليق الأستاذ أبى الوفاء .

٥- ذيول طبقات الحفاظ للحسينى وابن فهد والسيوطى .

٦- تبيين كذب المفترى فى الذب عن الإمام الأشعرى لابن عساكر .

٧- التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين لأبى المظفر الإسفرايني .

٨- العالم والمتعلم رواية أبى مقاتل عن أبى حنيفة .

٩- رسالة أبى حنيفة إلى البتى إمام أهل البصرة فى الإرجاء .

١٠- الفقه الأبسط رواية أبى مطيع .

١١- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى مع ملء الخروم من كلامه وكلام أصحابه .

١٢- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبى الحسين الملطى .

١٣- اللمعة فى الوجود والقدر وأفعال العباد لإبراهيم بن مصطفى الحلبى المذارى .

١٤- كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك الحمادى .

١٥- الروض الزاهر للبدر العينى فى سيرة الملك الظاهر (ططر) .

١٦- الانتصار والترجيح للمذهب الصحيح لسبط ابن الجوزى .

١٧- شروط الأئمة الستة لمحمد بن طاهر المقدسى والخمسة للحازمى والتعليقات عليهما مسماة بالتعليقات المهمة على شروط الأئمة .

١٨- مراتب الإجماع لابن حزم ونقده لابن تيمية .

١٩- النبذ في أصول المذهب الظاهري لابن حزم .

٢٠- اختلاف الموطآت للدارقطني .

٢١- كشف المغطى من فضل الموطا لابن عساكر .

٢٢- العقل وفضله لابن أبي الدنيا .

٢٣- الحدائق في الفلسفة العالية للبطليوسي .

٢٤- حقيقة الإنسان والروح للجلال الدواني .

٢٥- العقيدة النظامية لإمام الحرمين .

٢٦- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني .

٢٧- خصائص مسند أحمد لأبي موسى المديني .

٢٨- المصعد الأحمد لابن الجزري .

٢٩- زغل العلم للذهبي .

٣٠- الأسماء والصفات للبيهقي .

ومما قدم له وكتب فيه كلمة :

١- شرح مقامة (الحور العين) لنشوان الحميري .

٢- نشر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون للسيد محمد الأهدل شيخ رواق اليمن .

٣- الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد للسيد عبد الواسع اليماني .

٤- بيان مذهب الباطنية وبطلانه من كتاب قواعد عقائد آل محمد لمحمد بن الحسن الديامي .

٥- طبقات ابن سعد من الطبعة المصرية .

٦- فتح الملهم في شرح صحيح مسلم لمولانا العلامة شبير أحمد العثماني رحمه الله .

٧- ترتيب مسند الإمام الشافعى للحافظ محمد عابد السندى .

٨- أحكام القرآن جمع البيهقى من نصوص الإمام الشافعى رضى الله عنه .

٩- مناقب الإمام الشافعى للحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى الشافعى .

١٠- ذيل الروضتين للحافظ أبى شامة .

١١- فهارس البخارى لفضيلة الأستاذ الشيخ رضوان محمد رضوان .

١٢- إشارات المرام لكمال الدين البياضى .

١٣- كشف الستر عن فرضية الوتر لعبد الغنى النابلسى .

١٤- العالم والمتعلم لأبى بكر الوراق الترمذى .

١٥- الأعلام الشرقية للأستاذ زكى مجاهد .

١٦- انتقاد المغنى عن الحفظ والكتاب للأستاذ حسام الدين القدسى .

١٧- النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية للأستاذ الكبير مصطفى الحمامى رحمه الله .

١٨- منتهى آمال الخطباء له أيضا .

١٩- براهين الكتاب والسنة للعلامة العارف بالله الشيخ سلامة العزامى .

٢٠- قانون التأويل لحجة الإسلام الغزالى .

٢١- الثمرة البهية للصحابة البدرية لمحمد سالم الحفناوى .

٢٢- كتاب بغداد لابن طيفور .

٢٣- الروض النضير فى شرح المجموع الفقهى الكبير للسياغى الصنعانى .

قلت : وأزيد على ما مر ذكره ما يأتى :

١- منية الألمعى فيما فات من تخريج أحاديث الهداية للزيلعى للحافظ ابن قطلوبغا ، قدم له وحققه ونشر مذيلا بتعليقات الحافظ قاسم ابن قطلوبغا على النصف الثانى من الدراية مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٩ .

٢- إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام فى مسألة الكلام بقلم ولده الشيخ محمد عبد اللطيف طبعه الأستاذ من نسخته بمطبعة الأنوار سنة ١٣٧٠ وصححه وعلق بأوله تعليقة .

٣- الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء علق عليه لغاية ص ٨٨ والكتاب طبع سنة ١٣٥٠ فى ١٩٠ صفحة بما فى ذلك مقدمة الناشر والفهارس .

وهناك أشياء من هذا القبيل أخفى الأستاذ فيها نفسه أذكر منها الآتى :

١- تعليقاته النفيسة على تاريخ القوقاز الذى طبع تعريبه بمطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٤٠ م . وذكرت منسوبة إلى عالم جركسى جليل .

٢- مذكرات الأمير محمد على توفيق عربها وطبع التعريب فى مطبعة عنانى سنة ١٣٦٦ فى ٥٧ صفحة ولم يذكر فيها اسمه .

٣- بيان الخطوط الجميلة المحفوظة فى المتحف الذى أنشأه الأمير محمد على فى سراى منيل الروضة المطبوع بمطبعة مصر سنة ١٣٧٠ فى ٣٢ صفحة .

٤- بعض وثائق تاريخية من عهد ساكنى الجنان إسماعيل باشا وتوفيق باشا انتقاها وأمر بترجمتها الأمير محمد على وطبعت بمطبعة عنانى سنة ١٣٦٧ فى ٩٣ صفحة غير التصويب وذكر بأولها أنها ترجمة الأستاذ رضى الله عنه وكان الإفصاح باسمه هنا مخالفاً لما سبق .

وإنى أشكر مزيد الشكر كل من يتفضل فيرشدنى إلى ما أكون غفلت عنه من مؤلفاته خاصة ومن تقدماته وتعاليقه عامه .

وقد عثر فى أوراق المترجم رضى الله عنه على رسالة بخطه فى ١٦ صفحة اسمها (المنتقى المفيد) انتقى فيها أشياء من (العقد الفريد فى علو الأسانيد) تأليف العلامة سيدى الشيخ أحمد بن سليمان الأروادى المتوفى سنة ١٢٧٥ فرغ منها المترجم فى خامس جمادى الثانية سنة ١٣٥٤ . وهى مخطوطة بخطه كما ذكر .

كما عثر على نسخة من (حنين المتفجع) طبع قسطمونى سنة ١٣٣٧ وقد مر ذكرها ويأتى ذكر بعض أبياتها فى الفصل السابع الخاص بذكر شعره ونشره بمشيئة الله تعالى . وعلى قدر ما بذلته من جهد لحصر مؤلفات أستاذنا رضى الله عنه وتعاليقه وتقدماته فإنى أستشعر أن منها ما فاتنى مضطراً وقد نبهنى السيد حسام الدين القدسى إلى أن الترجمة الموجودة فى صدر الجزء الأول من فتاوى السبكى الذى طبعه سنة ١٣٥٦ والواقعة فى ص ١٣ – ١٥ هى من صنع الأستاذ رضى الله عنه ولكنه لم يرد أن تذكر باسمه لصغرها وقلة الجهد المبذول فيها ولخلو الكتاب المطبوع من أى مجهود للأستاذ رضى الله عنه – ومن يطالع هذه الترجمة ولاسيما فى أواخر ص ١٤ يستشف منها روح الكوثرى ومقدرته وعلمه وسعة أفقه وأخيراً أرجو قبول عذرى فى ما فاتنى وتكرار شكرى لمن ينبهنى إليه .

* * *

مقالاته

للمترجم رضى الله عنه مقالات كثيرة فى فنون متشعبة وفى كل مقالة منها من الدروس ما يفيد جماعة وقد كان ينشر فى معظم المجلات التى تتمشى مع نواحى مقالاته على أنه اختص مجلة الإسلام ثم الشرق

العربى بمعظم ما نشر وقد حرص بعض فضلاء تلاميذه على جمع مقالاته ونشرها فى مجلد مستقل رأوا أن تكون هذه الترجمة فى صدره والله المستعان وختاما أحب أن أسجل أن للمترجم عدة رسائل علمية وهذه لا يسهل جمعها لأنها منتشرة فى بقاع الأرض حيث كان يرسلها ردًّا إلى من يسألونه ولا أدرى إذا كان احتفظ بصورها فى أوراقه – أما مراسلاته الخاصة معى فمحفوظة بفضل الله ويأتى الكلام عليها فى الفصل التالى إن شاء الله .

ويحسن التنويه بأن للأستاذ ترجمة نفيسة للسيد عزت العطار فى صدر تأنيب الخطيب وأخرى للأستاذ السراوى فى أول الطبقات الكبرى لابن سعد طبع مصر وقد كتب لى السيد عزت العطار بأن آخر ما كتبه شيخنا بخطه الكريم من تقدمات للكتب تقدمة كتاب جذوة المقتبس الذى طبعه السيد عزت ونشره .

هذه هى صفحة فخار من سجل حياة مجيدة لرجل عاش يرغب عن دنياه ويرجو من الله أخراه رجل نقاه الله تعالى من الخطايا كما نقى الثوب الأبيض من الدنس والله المسئول أن يغسله بالماء والثلج والبرد وأن يكرم نزله بمنه وفضله .

* * *

الفصل السادس

فى أمور خاصة بينه وبينى

أكتفى فى هذا الفصل بذكر بعض ما قرأته على الأستاذ رضى الله عنه مما يكون فى بيانه فائدة عامة – كما أشير إلى بعض ما جاء فى مراسلاته مما يناسب ذلك .

فمما قرأته عليه : كتاب منار الأنوار فى أصول الأحناف لأبى البركات عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ ، نسخة مخطوطة سنة ٩٠٤ ذيلها بالإجازة بخطه وهى عندى برقم ١٢ أصول ، وهذا بعض ما قاله الأستاذ :

(أ) تقسيمات التربيعات التى فى أول كتب الأصول من عمل أبى زيد الدبوسى من كبار فقهاء الحنفية وممن يضرب به المثل توفى ببخارى سنة ٤٣٠ ومن جاءوا بعده تابعوه على تقسيماته لسرورهم بها .

(ب) عدم الجمع بين قطع يد السارق وضمان ما سرقه عند الأحناف أمر لو فطن له الذين يشرعون لعلموا أن مسألة قطع اليد التى يجعلونها سبباً لتنكبهم الشرع وانكبابهم على القانون الفرنسى ليست جزافا وإنما هى مع ضماناتها الشرعية لازمة . وقليل بل نادر من لا يفتدى يده برد ما سرق .

(ج) عدم ضمان المنافع يخالفه الأستاذ ويرى وجوب دفع إيجار .

(د) عند الكلام على القسم الأول من أقسام السُّنَّة جملة (وهو ما كان من الآحاد فى الأصل ثم انتشر) قال الأستاذ كحديث إنما الأعمال بالنيات .

(هـ) عند ذكر جملة (وعند بعض المتكلمين لا يصح بيان المجمل

والمشترك إلا موصولا) قال الأستاذ هذا هذيان وليس برأى فقهى فلا داعى إلى الوصل .

(و) عند جملة (والاستثناء متى تعقب كلمات معطوفة بعضها على بعض ينصرف إلى الجميع كالشرط عند الشافعى رحمه الله . وعندنا إلى ما يليه) قال الأستاذ مثل قوله تعالى فى سورة النور ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا** ﴾ فالاستثناء يزيل الفسق ولكنه لا يزيل عدم قبول الشهادة عندنا . خلافا للشافعى .

(ز) عند الكلام على حديث معاذ رضى الله عنه قال الأستاذ إنه يرى صحة حديث معاذ وله فى ذلك تعليق على كتاب النبذ لابن حزم الذى طبعه السيد عزت العطار .

(ح) عند الكلام على البتيراء قال إنها الركعة الواحدة وفى الحديث أنه نهى عن البتيراء .

ومما قرأته عليه قصيدة البردة المباركة . . . ليلة الجمعة ٢٨ من شهر رمضان سنة ١٣٥٨ ثمان وخمسين وعند الوصول إلى الفصل الأخير قال بأنه يفضل تجلى بالجيم فى البيت :

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِى إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

وذلك لأن الانتقام لا يكون حلية ولكنه من تجليات الحق سبحانه وتعالى لإقامة العدل وتنفيذ القصاص وكتب الإجازة بخطه الشريف وبسند فيه هبة الله البعلى المتوفى سنة ١٢٢٤ ومحدث الشام صالح الجنينى المتوفى سنة ١١٧٠ وعبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ ونجم الدين الغزى المتوفى سنة ١٠٦١ والذى كان يتعسر عليه الطواف عند حجته الأخيرة من انكباب الناس عليه لاستجازته - ووالده بدر الدين الغزى المتوفى سنة ٩٨٤ والقاضى زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ وغيرهم أفيعقل أن هؤلاء العلماء الأعلام كلهم أشركوا من أجل سواد عينى ابن

عبد الوهاب النجدى . وهل لأنه لم يفهم روائع المعانى التى فى البردة نرمى عقولنا ونسب سلفنا المنصف ونطيع النجدى المتعسف . وماذا فى قول البوصيرى :

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِى مَنْ أَلُوذُ بِهِ   سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ

وأى شرك فى هذا البيت المترع باليقين والإيمان . إن البوصيرى يتكلم عن يوم القيامة ، وحديث الشفاعة الطويل المتواتر الذى اتفق عليه البخارى ومسلم صريح فى أن الناس يموجون يوم القيامة ويترددون على الأنبياء رجاء الشفاعة وأن كل نبى يقول لست لها . فإذا جاءوا النبى ﷺ يقول أنا لها ويحمد ربه ويسأله ساجداً فيحد له حداً فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة وهكذا عدة مرات حتى لا يبقى فى النار إلا من وجب عليه الخلود وينجو كل مؤمن – والبوصيرى لم يقل غير ما جاء فى الحديث وجملة يا أكرم الخلق فيها إشارة لمن يتدبر إلى الاعتراف بخالق هؤلاء الخلق وكلمة سواك فى البيت مرجعها الأنبياء الذين يعتذرون من عدم الشفاعة يومئذ بنص الحديث . والتوجه إلى النبى ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾ فجعل توبته ورحمته متعلقتين بالتوجه إلى الرسول ﷺ واستغفاره للمتوجهين فإن قيل إن ذلك فى حياته تمشينا مع القائل وتركنا جانباً حياة النبى ﷺ فى قبره التى نوقن بها وقلنا للمعترض هل تنكر حياة النبى ﷺ يوم القيامة وأنه سيكون فى وسطنا كما كان بين صحابته يوم نزلت آية سورة النساء – فأين خطأ البوصيرى إذاً – ومقام النبى ﷺ الذى يوجب على المسلم أن يسلم عليه بصيغة المخاطب الحاضر فى كل جلسة عقب ركعتى الصلاة – والمرء بين يدى الله تعالى – هذا المقام لا يتعرض له بسوء إلا من ضاق عقله أو ضاع عدله .

فالبوصيرى مؤمن ورميه بالشرك بلاء يوقع قائليه فى مآزق تجعلهم يهتمون بسفساف الكلام ويغفلون عن المصائب والكلام . التى ستنتهى

بتسليم آخر معاقل الإسلام إلى الكفار باسم الاتجار وما هو إلا نوع من أنواع الاستعمار والاشتغال بدرء هذا البلاء أولى من المهاترة والإسفاف . ولكن أين الإنصاف .

ومما قرأته عليه أيضًا متن القدورى وهو كتاب مبارك تواتر عند الأحناف أنه إذا قرئ على شيخ صالح كان سببا لتيسير الرزق ولـمَّا لم أجد أصلح من الأستاذ بمصر وذلك لأنى لم أكن عرفت يومئذ الأخ الصالح السيد محمد إبراهيم أبى العيون شيخ معهد المنيا حالا فقد قرأته عليه سنة ١٣٥٩ ودعى لى فى ختامه وكتب الإجازة بخطه فيسر الله تعالى رزقى تيسيراً لم يكن على بالى من حل مبارك لا شبهة فيه ولا ريبة فلله الحمد والشكر والمنة .

والكتب التى قرأتها على الأستاذ كثيرة وكنت أحرص دائما على أن يكتب الإجازة فى آخرها بخطه وسردها يطيل الترجمة .

وقد كتب الأستاذ نقداً بخطه لمؤلفى إزالة الشبهات يوجد فى آخر الكتاب المذكور .

كما أجازنى بعدة إجازات منها ما لم يدخل فى ثبته (التحرير الوجيز) وكلها بخطه الجميل المبارك .

وقد كتب بعض فوائد وتصحيحات بخطه على نسخة الفقه الأكبر المنسوخة عن مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة وقد جلدت تصحيحات الأستاذ مع فوائد أرسلها الشيخ عبد القادر الشلبى الطرابلسى المتوفى سنة ١٣٦٩ من المدينة المنورة بآخر النسخة المذكورة المحفوظة عندى برقم ٧٥ توحيد .

ومن أعز ما أعتز به مجموعة مراسلاتنا وقد بلغ عددها ٢٥٩ من ذلك ١٥٠ صادرة عنى و ١٠٩ واردة من الأستاذ ويوجد بعض خطابات برقم مكرر لخطاب سابق تعلق المكرر به وجميع مراسلات الأستاذ جليلة مفيدة

واكتفى هنا بالكلام على خمسة أشياء هى ضمن ما ورد فى خمسة خطابات منها :

ففى الخطاب رقم ١٧ المؤرخ ٢٦ من رجب سنة ١٣٥٨ قال وأما حديث رد الشمس فهو صحيح باعتبار الصناعة وحكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة ولست ممن يجعل لقدرة الله حداً انتهى – قلت والفقير يؤمن به أيضاً ويرثى لحضرات الذين يتشككون فيه وفى انشقاق القمر لتعارض ذلك مع نواميس الطبيعة لأن الاشتغال بالجاذبية وجعلها مما يعارض قدرة الله يؤدى إلى مذاهب النشوء والارتقاء والتطور ورد الإنسان إلى قرد ورد القرد إلى سمكة ورد السمكة إلى ما تتسع له عقولهم الفاسدة وعلومهم الجاحدة والله الذى خلق الكون على ما يشاء وأجرى الكواكب كما يشاء قدير على أن يرد الشمس ثم يعيدها وعلى أن يشق القمر ثم يعيده دون أن يتأثر شىء من نظام الكون لأن الكون لا يقوم بنفسه وإنما هو قائم بالله الفعال لما يريد .

وفى الخطاب رقم ٤٤ المؤرخ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ أن الإنارة فى طرق حديث الزيارة لابن حجر هى فى حديث زر غبا وليست فى زيارة قبر المصطفى ﷺ كما ظن الكتانى .

وفى الكتاب رقم ١٤١ المؤرخ ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ أن الكتاب الذى طبعه الشيخ راغب الطباخ الحلبى المتوفى سنة ١٣٧٠ باسم الإفصاح هو فى الحقيقة كتاب الإشراف على مذاهب الأئمة الأشراف الذى هو قطعة من الإفصاح .

وفى الكتاب رقم ٢٠٢ المؤرخ ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٦٧ شرح معنى أرطغرل وأن أر بفتح الهمزة وسكون الراء الذكر والرجل وأن طغرل بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام هو الصقر وأن كلمة الطغراء مأخوذة من هذا لأنها على رسم صقر مفتوح الجناحين اهـ . قلت : وهذه فائدة هامة فإن أحد أساتذة الجامعة نشر فى

هذه السنة سنة ١٣٧٢ كتابا ذكر فيه نقلا عن أحد الأجانب أن للطغراء قصة طريفة تفسر نشأتها فقد اضطر السلطان مراد الأول العثمانى إلى أن يعقد معاهدة مع أحد أعدائه وكتبت المعاهدة وقرئت عليه ثم قدمت له لكى يوقع عليها ولما كان أميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقد دهن يده اليسرى بالحبر ثم طوى إبهامه ومد أصابعه الثلاثة التالية إلى أعلى وترك خنصره منفرجا قليلا عنها ثم ضغط بيده على المعاهدة فإذا صورة قريبة من صورة الطغراء التى نعرفها قد ظهرت على الورقة وتناول كاتبه هذه الورقة وكتب فى داخل الصورة اسم السلطان واسم أبيه ثم لقب خان وعبارة عز نصره – والأستاذ الجامعى مشكور فى نشر المصدر ومعذور فى تصديقه الأجانب لأن ثقافتنا الأخيرة تكاد تكون مستمدة منهم ولكنه معذول لعدم رد هذه الفرية الصادرة عن قلب مغيظ من السلطان مراد الذى كان هو وأسلافه وبعض من خلفوه قذى فى عين كل أوربى وهذه العبارة مردودة من أربعة أوجه .

الأول : أنه كان يكفى السلطان التوقيع بأصبع واحد لأن أخذ البصمات لتحقيق الشخصية لم يكن عرف بعد فى تلك الأيام .

والثانى : أن السلطان مسلم والمسلم يعاهد بيده اليمنى لا باليسرى .

والثالث : أنه كان يمكن للسلطان أن يأمر أحد أتباعه بالتوقيع نيابة عنه دون أن يلوث يده بالمداد كما يفعل صبيان المكاتب .

والرابع : أن الطغراء معروفة قبل ظهور العثمانيين بنحو مائتى سنة وكان الذى يكتبها يعرف باسم الطغرائى . والطغرائى الشاعر المشهور توفى سنة ٥١٣ وأول سلطان عثمانى وهو عثمان ولى الملك سنة ٦٩٩ . ومراد الأول ولى سنة ٧٦١ وبذلك يتبين استحالة القصة نقلا وعقلا كما يتبين أن الطغراء أقدم من العثمانيين وأنها كما قال الأستاذ نسبة إلى الصقر فى

اللغة التركية واللغة التركية قديمة واختلاط العرب بالأتراك أقدم من ظهور العثمانيين بعدة قرون .

وفى الكتاب رقم ٢٢٣ المؤرخ ٢٤ من شعبان سنة ١٣٦٩ ذكر أن سودوب بالباء الموحدة فى آخره تصحيف متوارث . وأن الصواب سودون بالنون فى آخره ومعناه (فتى الدون) والدون نهر معروف فى شمالى مروج شمالى القوقاز والاسم المركب علم جركسى .

وبهذا يتبين أن مراسلات الأستاذ كانت دائرة معارف عامة فيها من كل بحر قطرة وأنه كان كالنحلة تجمع رحيق الزهور المختلفة . ثم تخرجه عسلا حلواً فيه شفاء للناس وكما أن النحلة يؤذيها الزنبور فكذلك لم يسلم الأستاذ من زنابير البشر . وفى البشر من هم كالزنابير لا يعملون شيئًا ولا يفيدون أحداً ويعتدون على العاملين النافعين وقد تفضل رضى الله عنه فكتب تقريظًا نافعًا جامعًا نقد فيه مؤلفى إزالة الشبهات وهذا التقريظ مطبوع بنصه فى آخر مؤلفى المذكور .

وكنت – مع إجلالى التام للأستاذ – أخالفه فى أشياء – وكان رضى الله عنه لا يغضب من ذلك ولا تبرأ منى لأنه كان يحب أن يعتقد الإنسان ما يقتنع به ما دام الأمر لا يمس أصول الإسلام المعروفة .

ولا بأس بأن أذكر هنا بعض ما خالفت فيه شيخى الجليل رضى الله عنه وأرضاه : فأولا مخالفاتى للمذهب الحنفى ومنها :

١– اعتقادى نجاة أبى طالب رضى الله عنه ولى فى ذلك مؤلف خاص سهل الله تعالى إتمامه .

٢– اعتقادى أفضلية سيدنا على عليه السلام على سيدنا أبى بكر رضى الله عنه ولى فى ذلك (القول الجلى) وقد سبقنى بعض الحنفية إلى ذلك . وحسبك قوله : ويجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل إلى آخر ذلك البحث المشهور وليس هنا مقامه .

٣- حرصى على صوم الأيام الستة من شوال متتالية مبتدئة باليوم التالى لعيد الفطر مع أن الراجح فى المذهب صومها متفرقة ودليلى فى حرصى أن الحديث ورد بلفظ من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال . والإتباع مفهومه التوالى لا التفرق - كما أن خيفة توهم أن تظن مما فرض أمر أنزه نفسى عنه . فالعوام قبل الخواص يعلمون أن الله تعالى لم يفرض إلا صوم شهر رمضان .

٤- مخالفتى المذاهب الأربعة فى الحامل المتوفى عنها زوجها فإنهم يقولون بأقرب الأجلين والمروى عن على عليه السلام وابن عباس رضى الله عنهما أبعد الأجلين وهو الوجه فإن الحامل التى يموت زوجها ظهراً وتلد عصراً يصح لها على الرأى الأول أن تتزوج ولا يزال جثمان زوجها مسجى على سريره لما يدفن بعد - أما على الرأى الثانى فإنها تنتظر أربعة أشهر وعشراً مدة الحداد وهذا أحوط ولا ضرر منه خلافا للرأى الأول لأنه فى بعض الحالات قد يتأخر وضع الحمل إلى أبعد من أربعة أشهر وعشراً ومن الحتم انتظار الزوجة حتى تضع وقتئذ فلا ضرر عليها أن تنتظر بعد المولد إلى استيفاء أجل الحداد مراعاة لحرمة الزوجية وروابطها المقدسة .

هذه بعض المسائل التى أخالف بها مذهبى وجملتها ثمان مسائل مبسوطة فى أول مؤلفى (أبو طالب) أما فيما عداها فأنا حنفى عن عقيدة وبحث ما تريدى عن يقين وفحص والحمد لله رب العالمين .

وثانيًا : كان رضى الله عنه يقطع بفساد نسب الفاطميين والذى أراه أن ذلك محتمل كما أن صحة نسبهم محتملة أيضًا والطعن فى الأنساب بلاء قديم . وزوال الفاطميين وقت أن كان أعداؤهم العباسيون لا يزالون ملوكا مكن لمن يشاء أن ينشر الطعن ويكتب المحاضر وإلا فكيف ترمى الأمة التى حكمها الفاطميون بالخضوع إلى يهودى زنيم وهى تتكون وقتئذ من مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب فذاك بعض ما خالفته فيه .

وأختم هذا الفصل بقولي إنه كان رضى الله عنه يرى الإسلام من وجهته الصحيحة ولما سألته أيجب على العشر بينما أرضى خراجية ولا يجمع بينهما فى المذاهب والخراج هو الضريبة التى نؤديها للدولة باسم الأموال على الأرض الزراعية والعشر هو ما يجب على الزرع . أجابنى بقوله : اعتبر الخراج زكاة وتصدق بالعشر مدخرا إياه عند الله فنحن فى وقت قست فيه القلوب ومعاونة الفقير مجلبة للبركة محفظة للرزق . والعاقل يدخر من ماله لما يتوقعه من عسر محتمل مقبل فكن عاقلا وادخر عند الله تعالى ما تضمن حفظه ومضاعفته وما تجده فى وقت أنت أحوج ما تكون فيه إليه – وهى كلمات طاهرة نقية – صادرة عن نفس مطمئنة تقية .

* * *

الفصل السابع
بيان بعض شيوخه
وبعض مأثور كلامه * من منظوم ومنثور

ذكر أستاذنا رضى الله عنه وشيوخه وترجم لهم فى ثبته التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز، مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٠ بالقاهرة وأكتفى هنا بنقل ترجمة خمسة من شيوخه مع ترك الاستطرادات والاقتصار على ترجمة كل شيخ منهم .

فأولهم والده الشيخ حسن بن على الكوثرى المولود فى قوقاسية سنة ١٢٤٥ وتلقى العلم هناك من الشيخ سليمان الأزهرى المقرئ المتوفى شهيداً سنة ١٢٧٧ والشيخ موسى الصوبوصى المتوفى سنة ١٢٧٦ والشيخ موسى الحناشى المتوفى سنة ١٣٠٠ والشيخ حسن الصحجى المتوفى سنة ١٢٩٥ تلميذ الشيخ شامل المجاهد الجركسى المشهور المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٢٨٧ – ثم هاجر المترجم إلى البلاد العثمانية مع طلبته سنة ١٢٨٠ وبنى قرية جنوبى دوزجة بنحو ثلاثة أميال وتدعى باسمه إلى اليوم وبنى بها أيضا مدرسة كثيرة الغرف لطلبة العلم سنة ١٢٨٤ .

واجتمع فيها الطلبة – فاستمر على تدريسهم إلى أن بنى أشراف مركز دوزجة مدرسة فى جنب الجامع الجديد بها فطلبوه ليدرس بها فانتقل من القرية إلى دوزجة سنة ١٣٠٣ فاشتغل بتدريس الطلبة بها إلى أن بنى خانقاها جنب المدرسة فانتقل إليه متخليًا عن شئون المدرسة لأنجب تلاميذه – وتفرغ المترجم لإقراء الفقه والحديث وإرشاد السالكين .

ومن شيوخ المترجم أيضا الشيخ دولت المتوفى سنة ١٢٨٤ والشيخ

موسى الأسترخانى المكى المتوفى سنة ١٣٠٢ صاحب عبد الله الأرزنجانى المكى تلميذ مولانا خالد البغدادى اجتمع به سنة ١٢٨٧ فى موسم الحج وبقى عنده مدة – ومن مشايخ المترجم أيضا الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوى المولود سنة ١٢٢٧ والمتوفى سنة ١٣١١ وهو عمدة المترجم– وكانت للمترجم رضى الله عنه يد بيضاء فى الفقه والحديث، وقد أقرأ أمهات كتب الفقه مرات وراموز الأحاديث مرات وكان له شغف عظيم بصحيح البخارى، يختمه مطالعة مع شرحى ابن حجر والبدر العينى ثم يعيده وهكذا – وقد تلقى شيخنا من المترجم الفقه والحديث وغيرهما وأجازه بمروياته عامة ومنها دعاء الفرج المبارك المسلسل بقول رواته (كتبته وها هو فى جيبى) – توفى بدوزجة وشيخنا فى بلاد الغربة مهاجرا. وذلك يوم الأربعاء ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ عن مائة سنة رضى الله عنه.

وثانيهم – الشيخ إبراهيم حقى الأكينى – كان آية فى الذكاء، وحسن الإلقاء، ولم ير شيخنا مثله فى ذلك بين من أدرك من أهل طبقته – وكانت له يد بيضاء فى علوم القراءة. والأدب العربى – وكان بارعا فى الأصلين، والمنطق والحكمة والفقه. تخرج فى العلوم على الشيخ أحمد شاكر المتوفى سنة ١٣١٥. وهو عمدته فيها. وقد تخرج عليه نحو مائتى عالم فى الطبقة الأولى. وكان شيخنا يلازمه فى الطبقة الثانية فى عدد لا يقل عن ذلك. إلى أن مرض فى شعبان واستمر مريضا حتى موته يوم السبت ٢٧ من شوال سنة ١٣١٨ عن ٥٧ سنة. وهو عمدة شيخنا ويمينه فى العلوم من صرف ونحو وبلاغة وأدب وفقه وأصول وتوحيد ومصطلح وتفسير وحديث ومنطق وآداب وحكمة إلى غير ذلك مما كان يدرس فى الآستانة وقتئذ – رضى الله عنه.

وثالثهم: هو الشيخ على زين العابدين الألصونى المولود سنة ١٢٦٨ فى ألاصونيا حيث تعلم مبادئ العلوم فى بلده. ثم رحل إلى إستامبول فحضر درس العلاّمة رجب الأرناؤطى ولما توفى سنة ١٢٨٩ انتقل

إلى درس الشيخ أحمد شاكر وبه تخرج فى العلوم وأخذ الحديث عن الشيخ حسن القسطمونى. وتلقى برهان الكلنبوى وغيره من المحقق الشهير عبد الكريم النادر الألبصانى المتوفى سنة ١٣٠٠ ودرَّس العلوم فى جامع الفاتح.

وتخرج عنده طبقتان من أهل العلم الأولى نحو مائة عالم والثانية نحو مائة وأربعين عالما. وكان آية فى الورع. حتى إنه بعد أن أتم التدريس فى الطبقة الثانية تخلى عن مرتبه لبيت مال المسلمين مرتئيًا أنه لم يعد يستطيع التدريس فلم يبق وجه لصلته من بيت المال فطار هذا الخبر كل مطار. فكثر الزوار. فتوهم متوهمون مؤامرة سياسية فى المترددين إليه. فأصابه بعض أذى إلى أن أذاع بين محبيه ألا يزوروه فامتنع من مقابلة الزوار لهذا العذر إلى الانقلاب الدستورى فى الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦. ولما أحيل أمر إصلاح المعاهد الدينية إلى العلامة محمد خالص الشروانى المتوفى سنة ١٣٣١ بتعيينه وكيلا للدرس. اختار المترجم فى عداد من اختارهم لمجلس الوكالة فقبل بعد إلحاح شديد. وعاد إلى ساحة التوظيف بالحكومة. وفى سنة ١٣٢٩، عين وكيلا للدرس. ومن نصائحه لشيخنا عندما تخرج عليه (إن الدرهم لا يدخل محلا إلا ويخرج منه الإخلاص).

ولما توفى الشيخ إبراهيم الأكينى انتقل الأستاذ بوصية منه إلى الألصونى حيث أكمل عليه العلوم. ونعته بأنه قدوته ومساعده وشيخه وملاذه - توفى المترجم يوم الجمعة ١٨ صفر الخير سنة ١٣٣٦ ودفن بعد ظهر السبت فى مقبرة السلطان محمد الفاتح رضى الله عنهما.

ورابعهم: الشيخ حسن القسطمونى المولود فى بلدة طاطاى سنة ١٢٤٠ تخرج فى العلوم على العلاَّمة أحمد حازم الصغير النوشهرى المتوفى سنة ١٢٨١ حفيد أحمد حازم الكبير المتوفى سنة ١١٦٠ وأخذ الحديث

والتصوف عن الكمشخانوى وهو من أقدم أصحابه. وشارك شيخه فى الأخذ عن السيد أحمد بن سليمان الأروادى المتوفى سنة ١٢٧٥ حين ما ورد الآستانة سنة ١٢٦٦ . وأقام بها سنتين يدرس الحديث بآياصوفيا. كما أخذ المترجم عن الشيخ عبد الفتاح العقرى أحد أوصياء مولانا خالد البغدادى دفين صالحية الشام. كان من الموفقين فى الإرشاد ونشر الحديث وسمع شيخنا عليه راموز الأحاديث وغيره وأجازه سنة ١٣١٨ بما حوى ثبت شيخ المترجم وبمروياته عامة. توفى يوم الخميس ٢٣ من صفر سنة ١٣٢٩ . عن ٨٩ سنة ودفن قرب شيخه لكمشخانوى فى مقبرة السلطان سليمان رضى الله عنهم.

وخامسهم: الشيخ يوسف ضياء الدين التكوشى المولود سنة ١٢٤٥ فى تكْوَش بولاية سلانيك ورحل إلى الآستانة ولازم درس العلامة الحافظ سيد السيروزى. تلميذ محمد أسعد إمام زاده. ثم تخرج فى العلوم على المحقق على الفكرى بن بهرام الياقووى المتوفى ١٢٩٣ تلميذ العلاَّمة سليمان الكريدى المتوفى سنة ١٢٦٨ وتلقى المترجم المسلسل بالأولية من الشيخ محمد بن على التميمى المتوفى بالآستانة سنة ١٢٨٧ وأخذ منه المطول فى سنتين. وللمترجم غير ذلك المشايخ – إلا أن الياقووى هو عمدته.

وقد سمع شيخنا من المترجم حديث الرحمة المسلسل بالأولية وكان المترجم شيخا طوالا نير الوجه مهيبًا على سيرة السلف الصالح. ومن مناقبه أنه كان لا يخاف لومة لائم فى بيان الحق وذلك أن بعض المخذولين من كبار رجال المعارف فى حدود سنة ١٣٢٠ رفع تقريراً عن أن فى رد المحتار لابن عابدين كلمة ماسة تثير الخواطر وهى قوله فى كتاب الأشربة من قال لسلطان زماننا عادل فقد كفر. فصدر الأمر بمصادرة الكتاب فنهض المترجم ومعه العلاَّمة محمد فرهاد بن عمر الريزوى المتوفى سنة ١٣٤٣ عن ٨٨ سنة وكان من الشيوح الهرمين مثله. وقابلا السلطان عبد الحميد الثانى المتوفى

بعد خلعه سنة ١٣٣٦ رحمه الله. وقالا له ما خلاصته: إن العبارة المنسوبة إلى الكتاب موجودة تقريباً فى كل كتاب فقهى وإن مصادرة الكتاب تدمى قلوب المخلصين ومثل هذا العرض كان يعد جرأة بالغة فى ذلك العهد فأمر السلطان بإعادة الكتب إلى أصحابها ونفى ذلك الموظف الكبير صاحب التقرير إلى إحدى الولايات البعيدة على أن يكون شاويشا خادما بسيطًا فى البلدية. قلت إن هذه الحسنة من السلطان الذى كان لا راد لأمره وقت ملكه نزولا على حكم عالمين جليلين تغمر فى بحرها كثيرا من سيئاته. اهـ. وتوفى التكوشى فى ٢٩ من صفر سنة ١٣٣٩، ودفن فى مقبرة الفاتح رضى الله تعالى عنهما.

هذه صفحات ناصعة من سير رجال طلقوا الدنيا ورغبوا فى الآخرة طمعا فيما عند الله تعالى من عظيم الأجر وخالد النعيم وقد اخترت هؤلاء الخمسة من شيوخ الأستاذ الكثير وكلهم كان عظيما جليلا يجمع بين العلم والعمل والتقوى والصلاح واقتصرت على هؤلاء عزوفًا عن الإطالة. والله سبحانه وتعالى ينفعنا بهم وبعلومهم التى كان لشيخنا الكوثرى فضل إيصالها إلينا.

وللشيخ الكوثرى كما ذكرت من قبل نظم ونثر. وطريقته فى النثر يعرفها كل من طلب العلم عليه وكثيرا ما كنت أقرأ مقالا يخفى فيه نفسه فأستشفها من عباراته التى يلتزمها فى نثره وكنت أكتب له بذلك فكان يعجب فى أول الأمر ثم أخذ يسر بعد ذلك – وشعره كما قلت من قبل لا يليق بقدره خلافا لنثره. فشعره دون المتوسط. ولكن نثره يعد من أبلغ وأجود ما كتب فى العربية على الرغم من أنه لم يكن عربيًا.

فمن مأثور نثره قوله: (اللامذهبية قنطرة اللادينية) وهو قول لو تدبره المنصف لوجده من جوامع الكلم فإن للشيطان تلبيسات وهو يزين للمرء الوقوع فى اللمم ولا يزال به حتى يجرئه على ارتكاب الكبائر.

والمذاهب الإسلامية كلها توصل إلى السعادة الدنيوية وإلى الجنة في الآخرة فهي أشبه بعدة طرق توصل إلى مدينة فالسالك في أي طريق منها واصل.

أما الذي يسير في هذا الطريق حينا ثم يعرج إلى الآخر ثم يحاول تجربة الثالث ثم يسعى إلى سلوك الرابع ينتهي به الأمر إلى التيه في الشعاب وتلتوي عليه المسالك والطرق فلا يصل أبدا. وكذلك اللامذهبية مهما تزينها الوساوس وتزيف بريقها الكاذب فإنها تؤدي إلى التهاون فالاستخفاف فالجحود. وذلك لأن الأئمة المتبوعين رضوان الله عليهم التزم كل منهم من قواعد الكتاب والسنة ما فتح الله به عليه ولهم شروطهم في النسخ ودرجات الحديث ومفهوم الحروف والإجماع والتمييز بين الصحابة وعمل أهل المدينة والقياس والاستحسان وغير ذلك مما يعرفه أهله.

فإذا اتبع الإنسان مذهبا فمعنى ذلك أنه رجح أدلته فإذا عاج إلى آخر فمعناه أنه ارتاح إلى براهينه، فإذا انتقل إلى ثالث بدأ الخلط والوسواس يعتريه. أما إذا أراد أن يأخذ من كل مذهب ما يوافق هواه، فقد أصبح ممن يحتكمون إلى الهوى، وهوى النفس أعظم أسباب ترديها وإتعاسها والتشريع لا يكون عن هوى، ومن المستحيل أن تكون في خلق السلف الصالح الذين شرعوا، وأنا لا أريد التعرض لعلماء هذا الزمن، ولا أنكر أن منهم الصالح التقي، والعامل النقي، ولكن لا يمكنني ولا يمكن سواي أن يتغافل عن انكباب معظمهم على الدنيا وحرصهم على زخرفها وتعلقهم بأسبابها، فإذا وجد بيننا اليوم من يُضرب ليلى القضاء فيعتذر عزوفا عن مناصب الدنيا، أو من يمشي في المدينة المنورة حافيا حتى لا يطأ بنعليه موضعًا وطئه النبي ﷺ، أو من يجلد لأنه امتنع عن مجاراة الخليفة على مالا يعتقده في القرآن الكريم، إذا وجد أمثال هؤلاء قبلنا منهم أن يضعوا لنا تشريعًا موحدًا ومذهبًا مفردًا، أما والحال كما نرى في كل بلاد الإسلام

فلنعض بالنواجذ على مذاهب السلف الصالح ولا نحاول خلطها ولا مزجها، فكل مذهب منها فيه الغناء والكفاء لجميع التشريعات العصرية من غربية أو شرقية ويزيد عليها بسمو أصله وطهارة منبعه واستمداده من الله ورسوله – وليتمسك كل منا بمذهبه كما وصل إليه من سلفه الصالح ولنعلم أن فى اختلافهم من التيسير والألطاف الخفية ما يجعل الجملة الخالدة (اختلافهم رحمة) من روائع الحكم.

ومن مأثور قول الأستاذ أيضا (نفى الوجود بعدم الوجدان ليس بجيد)، وهذه حكمة نفيسة. لأن المرء قد يتعجل فيقطع بنفى ما لا يجده وقد يتابعه سواه فيشتهر الخطأ ويكون عليه وزره، أما إذا قطع بما يعلم وتوقف فيما يجهل فإن ذلك يكون أولى بالباحث وأعوذ بالنفع عليه وعلى غيره.

ومن مأثور قوله أيضا (والفقه صلح لكل زمان ومكان فى أيام مجد الإسلام فلا يعقل ألا يصلح لهذا الزمان الذى ظهر فيه للعيان مبلغ الخلل فى أنظمة الغرب حتى أصبحت المجتمعات عرضة للانحلال من فساد تلك الأنظمة) وذلك فى مقدمة مؤلفه الإشفاق ثم قوله فى الصفحة التالية عن مسايرة العابثين بالطلاق بتعبيد طرق لهم (بل هذه المسايرة تزيد فى فتك المرض بهم وتوجب اتساع الخرق على الراقع وتزيل حكمة استباحة الأبضاع بكلمة الله سبحانه من حصول البركة فى الحرث والنسل بإقامة كلمة بعض المتفيهقين «المتمجهدين» الذين ليس لأهوائهم قرار مقام كلمة الله جل جلاله فى ذلك وليس بالأمر الهين الخروج عما يفقهه الأئمة المتبوعون إلى أقوال شذاذ ما صدرت تلك الأقوال منهم إلا غلطا أو إلى آراء رجال متهمين أظناء يسعون فى الأرض فساداً إذ زين الشيطان لهم سوء عملهم – وهذه المسايرة هى التى أدت إلى تخلى الفقه عن كثير من أبوابه فى المحاكم بأيدى أبنائه الذين عقوه وليس ذلك ناشئا من عدم صلاحية الفقه لكل زمان ومكان بدون تقويض دعائمه أو قص خوافيه مع قوادمه) اهـ.

ومن مأثور نظمه قوله ضمن قصيدته حنين المتفجع وأنين المتوجع التى طبعها فى قسطمونى فى ١٢ من صفر سنة ١٣٣٧ أى بعد أسبوع من الهدنة التى أنهت الحرب العالمية الأولى وعدة القصيدة ٥٥ بيتاً. وفيها يقول:

أرض مقدسة عنا قد انتزعت آياتها انتبذت فالعيش مملول

أعلامها انتكست صلبانها ارتفعت تتلى بها اليوم توراة وإنجيل

بلا (صلاح) فهل ترجى استعادتها وما الصلاح لنا فى الكون مأمول

وفى البيت الثالث تورية بين الصلاح ضد الفساد – وبين اسم السلطان صلاح الدين يوسف المتوفى سنة ٥٨٩ ومستعيد القدس من الصليبيين فى رجب سنة ٥٨٣ وليت شعرى ماذا عسى شيخنا قائله وقد أصبحت الأرض المقدسة حكراً لليهود. بعد أن طردوا منها العرب وباقى سكانها من مسلمين ونصارى ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقوله فى مطلع قصيدته التى سماها النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية الخالدية الضيائية:

حمداً لمن أبدع الأكوان من عدم هو الغفور لعبد عاد بالندم

ثم الصلاة على مهدى طرائقنا محمد شمس رشد ضاء فى الظلم

كذا على الآل والأصحاب قاطبة هم النجوم فنستهدى بهديهم

. يا رب سهل صعابيب السلوك لنا وجد بفيض ووصل غير منفصم

بجاه أحمدنا الهادى الشفيع غداً وذا وسيلتنا فى الحل والحرم

وأختم هذا الفصل بقولى إن أستاذنا رضى الله عنه بلغ قدره فى بقاع الإسلام مبلغا جليلا فكان العلماء ينقلون عنه – فى مصنفاتهم كما فعل مولانا ظفر أحمد التهاوونى [1] فى كتابه إعلاء السنن. حيث قال فى

(١) هو تلميذ حكيم الأمة محمد أشرف على التهانوى المتوفى سنة ١٣٦٢ عن مائة سنة وعن خمسمائة كتاب مطبوع وخمسمائة محاضرة مطبوعة وهو الذى أمر تلميذه المذكور وهو ابن أخته أيضا بتلخيص كتاب الإشفاق كما أخبرنى السيد حسام الدين القدسى.

ص٥١٦ من الجزء الحادى عشر طبع الهند سنة ١٣٥٧ ما نصه (وبعد فلما كان وقوع الطلاق فى الحيض ووقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد جملة واحدة مما قد كثر فيه الشغب واعتنى بالبحث عنه كثير من أهل العلم أصحاب المعالى والرتب وكان من أحسن ما صنف فى الباب كتاب «الإشفاق على أحكام الطلاق» للعلامة محمد زاهد الكوثرى المصرى أطال الله بقاءه ومتع المسلمين ببركات أنفاسه القدسية أحببت أن أذكر هنا ما ذكره مما لم أذكره فى الإعلاء ولا الحبيب فى الإنقاذ) – ولخص بعد ذلك أكثر مباحث كتاب الإشفاق ونقل منه عشرات الصفحات – وقوله المصرى هو على اصطلاح المحدثين فى ذكر آخر موطن للمترجم كان يقال عن ابن منظور الأفريقى ثم المصرى – وقد سبق أن الأستاذ الكوثرى جركسى الأصل أناضولى المولد إستامبولى النشأة مصرى المهجر والوفاة – وقوله فى آخر كلامه ولا الحبيب فى الإنقاذ يقصد حبيب أحمد الكيرانوى مؤلف الإنقاذ من الشبهات فى إنفاذ المكروه من الطلقات ضمنه صاحب إعلاء السنن فى مؤلفه فى الجزء الحادى عشر المذكور آنفا [١].

والآن وقد فرغت من سرد سيرة رجل طلب العلم لله وعمل فى دنياه بما يسعده فى أخراه وكان مثالا يحتذى فى إخلاصه وتقواه . وإماما يقتدى فى دينه وهداه – لا يسعنى قبل أن أترك القلم إلا سؤال الله سبحانه وتعالى له الرحمة والرضوان وفسيح الفردوس وأعلى الجنان وأن يجزيه عن علمه وصبره وجهاده وهجرته خيرا وأن يجزل لنا فى فقده ثوابا ويعظم لنا أجراً وأن يوفقنا لترسم خطواته والانتفاع بنفحاته والإفادة من مؤلفاته وأن يفيض علينا من بركاته . بجاه النبى ﷺ وسيلة كل مؤمن فى الدنيا . وشفيعه فى الآخرة وإمامه إلى الجنة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين .

---

(١) وأخبرنى السيد حسام الدين القدسى أن شبير أحمد العثمانى المتوفى سنة ١٣٦٩ وضع جل ما فى الإشفاق فى مؤلفه (فتح الملهم فى شرح مسلم) فى باب الطلاق .

الفصل الثامن
تلامذته مرتبة أسماء من تعيه الذاكرة منهم على حروف المعجم

أرى قبل سرد بعض الأسماء التى أعرفها الإشارة إلى أن الأستاذ رضى الله عنه درس فى الآستانة وفى غيرها مدة طويلة وأنه كان لا يشاركه أو يقاربه أحد من أهل طبقته فى عدد التلاميذ الذين كانوا يحضرون حلقات دروسه حيث بلغوا المئات وإنى أشكر كل من يتفضل منهم فيكتب لى بأسماء من يعرف من زملائه فى الحضور على الأستاذ وعنوانى (روضة خيرى باشا دسونس بحيرة القطر المصرى) فلعلى أستطيع سرد أكبر عدد منهم فى طبعة مقبلة إن شاء الله تعالى.

هذا فيما يتعلق بتلامذته الذين حضروا عليه قبل هجرته.

أما الذين استجازوه فهم يبلغون المئات أيضاً وذلك لأن ثبته «التحرير الوجيز» طبع منه ٣٠٠ نسخة – ولم يبق منها نسخة واحدة تحت يده – بل كان ينوى إعادة طبعه قبيل موته لكثرة من كانوا يستجيزونه، ويلاحظ أنه كتب إجازات كثيرة قبل طبع ثبته المذكور.

وقد أجازنى بأكثر من إجازة بخطه. كما أن الأستاذ أمين سراج نسخ لنفسه بخط يده إجازة وقع له الأستاذ عليها كما أفاد السيد حسام الدين القدسى. فمن ذلك يتبين أن المستجيزين زادوا على ثلاثمائة، وأظن أن آخر إجازة بثبته حررها للأستاذ فؤاد السيد عمارة بدار الكتب المصرية وقد أرانيها وتاريخها فى شهر رمضان سنة ١٣٧١. أى قبل وفاة الأستاذ رضى الله عنه بشهرين.

أما تلامذته بعد هجرته فإن عددهم قليل وذلك لأن الأستاذ اشتغل بعد الهجرة بالمطالعة والتعليق والتأليف ولم يتعرض للتدريس العام ولكنه

كان لا يمتنع عن تدريس من يلجأ إليه كما حدث مع الفقير مؤلف هذه الرسالة ومع سواه من الإخوان.

وأنا إذ أكتب أسماء بعض التلامذة الذين تيسر لى إحصاؤهم أتبع كل اسم ببيان موضع تلمذته، واسم من أخبرنى به إلا إذا كان ذلك معروفاً لدىّ بمشاهدتى وهذه هى الأسماء: -

١ - حاجى جمال الالاصونى واعظ فى إصطنبول فى جامع السلطان بايزيد وهو من تلامذة الأستاذ قبل هجرته، كما أفاد القدسى.

٢ - السيد حسام الدين القدسى صاحب مكتبة القدسى بمصر وناشر الضوء اللامع فى ١٢ جزءا ومجمع الزوائد فى عشرة أجزاء وشذرات الذهب فى ٨ أجزاء عرفه الأستاذ فى رحلته إلى الشام بعد هجرته، وتتلمذ عليه وأفاد منه، ونشر بإشارته كثيرا من الكتب النافعة، وقد اهتم بعد موت الأستاذ للقيام بجمع مقالاته والمشاركة فى نشرها وهو الذى جمع لى بعض أسماء تلامذته.

٣ - الشيخ حسين بن إسماعيل أطاى بكلية الشريعة ببغداد تتلمذ للأستاذ بعد هجرته. كما أفاده القدسى.

٤ - البرنس حسين خير الدين ابن بنت السلطان عبد العزيز العثمانى المتوفى سنة ١٢٩٣ - كان من تلامذة الأستاذ قبل هجرته - ورأيته بمصر بمنزل الأستاذ يقرأ عليه دلائل الخيرات ليستجيزه بها حرصاً على دوام الصلة العلمية بينهما فيكون ممن جمع بين الحسنيين، وقد جمع أيضا بين حسن الخلق (بفتح الخاء) وحسن الخلق (بضم الخاء) وعليه سمت العلماء وزيهم - وهيبة الأمراء ووقارهم وخطه من أجمل ما رأيت.

٥ - الشيخ عبد الفتاح أبو غدة كان يطلب العلم بالأزهر واشتغل بعد تخرجه بالتدريس فى بلدته حلب، رأيته أكثر من مرة بمصر يسأل الأستاذ ويستمليه ويكتب عنه - وبلغ من شدة تعلقه به أن نسب نفسه

إليه فهو الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحنفى الكوثرى وهو من تلامذته بعد هجرته .

٦ - الشيخ عبد الله بن عثمان الحمصى الجركسى الأصل - وهو الذى لازم الأستاذ فى أواخر أيامه حتى موته، ومن المهتمين لجمع ونشر مقالاته، وكان الأستاذ يزوره فى غرفته بمدرسة محمد بك أبى الذهب فى ميدان الأزهر - وهو من تلامذته بعد هجرته .

٧ - السيد عزت العطار الحسينى ناشر الكتب النافعة، كان يقرأ على الأستاذ تجارب ما ينشره ونشر له من مؤلفاته تأنيب الخطيب، وهو من تلامذته بعد هجرته .

٨ - الشيخ على آق صوى الواعظ فى أزمير من تلامذة الأستاذ قبل هجرته كما أفاده القدسى وزاد بأنه كان رئيس الوعاظ ثم صار مفتيًا بأندرمه بقرب إصطنبول .

٩ - الشيخ محمد إبراهيم الختنى ثم المدنى الشهير باسم الحاج إبراهيم الختنى وهو الذى ألف الأستاذ من أجله رسالته فى ابن أركماس كما مر فى ص ٤٢ . حضر مصر فى أواخر أيام الأستاذ واجتمع به، وكان ممن صلوا عليه وشيعوه، كان شديد التعلق بالأستاذ وتتلمذ له بالمكاتبة وهو فى المدينة المنورة - ثم أراد الله له أن يلقاه قبل موته فلقيه بمصر كما سلف القول .

١٠ - الشيخ محمد إحسان بن عبد العزيز من أقدم تلامذة الأستاذ بعد هجرته كما أفاده القدسى، وهو الآن مدرس اللغة التركية فى جامعة إبراهيم بالقاهرة وشيخ تكية السلطان محمود فى درب الجماميز ومعرب كتاب (العاهل العثمانى أبو الفتح السلطان محمد الثانى فاتح القسطنطينية وحياته العدلية) الذى طبع بمصر سنة ١٣٧٢ .

١١ – الأستاذ محمد أمين سراج بن مصطفى فى كلية الشريعة بالأزهر الشريف بمصر تركى الأصل وهو من تلامذة الأستاذ بعد هجرته، وأجازه الأستاذ كما أفاد القدسى.

١٢ – الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب بالإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية رأيته أكثر من مرة بمنزل الأستاذ يتلقى منه ويستفيد – وهو من تلامذته بعد هجرته.

١٣ – الشيخ مصطفى عاصم كان بمصر وأجازه الأستاذ كما أفاده القدسى.

فهؤلاء هم تلامذة الأستاذ الذين وعتهم الذاكرة أو أُرشدت إليهم – ولم أذكر اسمى فى هذا السجل لأنى كرهت أن أتقدم عليهم بحكم حروف المعجم – وقد سبق فى هذا المؤلف – أكثر من مرة – أنى تتلمذت للإمام الكوثرى رضى الله عنه بعد هجرته وأفدت منه كثيراً لمدة سنوات طويلة.

على أن الكوثرى كانت له رسالة نبيلة فى الحياة، هى أبقى أثراً وأدوم خلوداً من تلامذته، وقد بينها فى مؤلفاته، وسيتبين للناس يوماً ما، أن الرجل كان من المجاهدين الصادقين فى صمت وإخلاص ويقين. وأنه كان ينشر العلم لوجه الله، ويدافع عن الدين ابتغاء مرضاة الله.

وإذا كانت الظروف جعلت شهرة الرجل، على انتشارها فى حياته، أقل من حقيقته وفضله ودون خلقه وعلمه ونبله، إلا أن الأيام كفيلة بإصلاح هذا وسيأتى يوم إن شاء الله تعالى يعرف فيه الناس جميعاً من هو الكوثرى، وما هى مؤلفاته القيمة النافعة، المباركة الناجعة. فإن عَرف العتر يضوع ولا يضيع، وأريج الرند مهما حصرته فإنه ينتشر ويشيع، وشذا الورد لم يخلق ليحبس وإنما لينم ويذيع.

وإذا أنكر مزكوم نفح العطور، وطيب المسك والعبير، وحاول

تجاهل ذلك . فإن الزكام سيزول يومًا ما ويبقى للطيب أثره الخالد وعبقه التالد .

والآن وقد تم ما التزمته فى مقدمة هذا الكتاب . أرى من المناسب ذكر سند الإمام الكوثرى فى الفقه إلى إمام المذهب رضى الله عنهما . ثم إلى إمام الأئمة صلى الله تعالى عليه وسلم . لينتفع به من يتعسر عليه الحصول على نسخة من التحرير الوجيز .

كما أنى رأيت أن أتبع هذا السند قصيدة نظمتها يوم الخميس ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٧٢ بمناسبة مرور سنة على انتقال الأستاذ رضى الله عنه إلى رحمة الله تعالى ونعيمه وغفرانه وجواره وجناته ورضوانه .

* * *

(سند الإمام الكوثرى)
فى الفقه – إلى إمام المذهب أبى حنيفة النعمان ثم إلى إمام الأئمة وسيد سادات هذه الأمة ﷺ

تفقه مولانا الكوثرى المتوفى بمصر سنة ١٣٧١ على والده وعلى الأستاذين الحافظ إبراهيم حقى الأكينى وعلى زين العابدين الألصونى كما سلف القول – .

فالأول – المتوفى سنة ١٣٤٥ كما مر – عن الشيخ أحمد ضياء الدين الكموشخانوى المتوفى سنة ١٣١١ عن السيد أحمد بن سليمان الأروادى المتوفى سنة ١٢٧٥ عن العلاَّمة محمد أمين الشهير بابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ وسنده مشهور فى ثبته المطبوع وبهذا السند ساق المترجم إجازته لى بالقدورى – وقد سلفت الإشارة إليها – وفيه هبة الله البعلى المتوفى سنة ١٢٢٤ وصالح ابن إبراهيم الجينينى المتوفى سنة ١١٧٠ وغيرهما من عيون المذهب الحنفى رضى الله عنهم وأرضاهم.

والأخيران أى الألصونى المتوفى سنة ١٣٣٦ والأكينى المتوفى سنة ١٣١٨ أخذا عن الحافظ أحمد شاكر المتوفى سنة ١٣١٥ عن الحافظ محمد غالب المتوفى سنة ١٢٨٦ عن سليمان بن الحسن الكريدى المتوفى سنة ١٢٦٨ عن إبراهيم بن محمد الإسبيرى المتوفى سنة ١٢٥٥ عن على الفكرى بن محمد صالح الأخسخوى المتوفى سنة ١٢٣٦ عن محمد منيب العينتابى المتوفى سنة ١٢٣٨ عن إسماعيل بن محمد القونوى المتوفى سنة ١١٩٥ عن عبد الكريم القونوى الآمدى المتوفى سنة ١١٥٠ عن محمد اليمانى الأزهرى المتوفى سنة ١١٣٥ عن عبد الحى الشرنبلالى عن أبى الإخلاص الحسن الشرنبلالى المتوفى سنة ١٠٦٩ عن عبد الله بن محمد النحريرى وشمس الدين محمد المحبى القاهرى المتوفى سنة ١٠٤١ كلاهما

عن على المقدسى المتوفى سنة ١٠٠٤ عن أحمد بن يونس الشلبى المتوفى سنة ٩٤٧ عن عبد البر بن الشحنة المتوفى سنة ٩٢١ عن الإمام كمال الدين ابن الهمام المتوفى سنة ٨٦١ عن سراج الدين عمر بن على قارئ الهداية المتوفى سنة ٨٢٩ عن علاء الدين السيرامى المتوفى سنة ٧٩٠ عن جلال الدين الكرلانى شارح الهداية عن عبد العزيز البخارى صاحب كشف الأسرار المتوفى سنة ٧٣٠ عن حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ صاحب الكنز عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردرى – ح – وأخذ قارئ الهداية أيضا عن أكمل الدين محمد بن محمود البابرتى صاحب العناية المتوفى سنة ٧٩٦ عن قوام الدين محمد الكاكى صاحب معراج الدراية المتوفى سنة ٧٤٩ عن الحسين السغناقى صاحب النهاية المتوفى سنة ٧١١ عن حافظ الدين الكبير محمد بن محمد ابن نصر البخارى المتوفى سنة ٦٩٣ عن محمد بن عبد الستار الكردرى المتوفى سنة ٦٤٢ عن صاحب الهداية على بن أبى بكر المرغينانى المتوفى سنة ٥٩٣ عن النجم أبى حفص عمر النسفى المتوفى سنة ٥٣٧ عن الأخوين البزدويين فخر الإسلام وصدر الإسلام – فالأول المتوفى سنة ٤٨٢ أخذ عن شمس الأئمة السرخسى المتوفى سنة ٤٨٣ شارح السير الكبير وصاحب المبسوط المطبوع فى ثلاثين جزءا عن شمس الأئمة الحلوائى المتوفى سنة ٤٤٨ عن الحسين بن خضر النسفى المتوفى سنة ٤٢٤ عن محمد بن الفضل البخارى المتوفى سنة ٣٨١ عن عبد الله بن محمد الحارثى المتوفى سنة ٣٤٠ عن محمد بن أحمد بن حفص المتوفى سنة ٢٦٤ عن أبيه أبى حفص الكبير المتوفى سنة ٢١٧ كما فى تاريخ بخارى للنرشخى عن الإمام محمد بن الحسين الشيبانى الصاحب المتوفى سنة ١٨٩.

وأخذ صدر الإسلام المتوفى سنة ٤٩٣ عن إسماعيل بن عبد الصادق عن عبد الكريم البزدوى المتوفى سنة ٣٩٠ عن إمام الهدى أبى منصور

الماتريدى المتوفى سنة ٣٣٣ عن أبى بكر أحمد الجوزجانى عن أبى سليمان موسى بن سليمان الجوزجانى عن الإمام محمد بن الحسن الشيبانى الصاحب المتوفى سنة ١٨٩ عن إمام المذهب أبى حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠ عن حماد بن أبى سليمان المتوفى سنة ١٢٠ عن إبراهيم بن يزيد النخعى المتوفى سنة ٩٥ عن علقمة بن قيس المتوفى سنة ٦٢ والأسود بن يزيد المتوفى سنة ٧٥ وأبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى القارئ المقرئ المتوفى سنة ٧٤ وقيل ٧٣ – فالأولان عن عبد الله بن مسعود المتوفى سنة ٣٢ رضى الله عنه – والسلمى عن سيدنا على عليه السلام المستشهد بالكوفة فى شهر رمضان سنة ٤٠ – وسيدنا على وابن مسعود عن خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين سيد الأولين والآخرين من ملائكة وجن وإنس وأنبياء ومرسلين المنتقل إلى الرفيق الأعلى ضحى يوم الاثنين ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ١١ إحدى عشرة صلى الله وسلم وشرف وكرم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأصفياء المتقين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ا هـ.

* * *

ذكــرى

مرور عام على وفاة فقيد الإسلام الإمام الكوثرى بمصر
يوم الأحد ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٧١
رضى الله عنه

١- مَضَى العَامُ مُذْ عَادَ التَّقِيُّ مُوَدِّعًا   وَخَلَّى فَرَاغًا خَلْقَهُ لاَ نُطِيقُهُ
٢- فَرَاغًا تَجَلَّى فِي فِرَاقٍ تَرَدَّدَتْ   لَهُ زَفَرَاتُ الْقَلْبِ حِينَ يَذُوقُهُ
٣- فَأَدْمَعَ أَمَاقًا وَأَجْزَعَ أَنْفُسًا   وَأَحْرَقَ أَكْبَادًا وَكَيْفَ حَرِيقُهُ
٤- وَأَعْقَبَنَا بَعْدَ التَّأَنُسِ وَحْشَةً   وَحَلَّ مَحَلَّ الرَّأْسِ فِي الْعِلْمِ سُوقُهُ
٥- وَغَابَ عَنِ الدُّنْيَا بِغَيْبَةِ زَاهِدٍ   حَدِيثٌ وَتَوْحِيدٌ وَفِقْهٌ عَرِيقُهُ
٦- فَقَدْ كَانَ مَرْسَاةً إِذَا غَلَبَ الْهَوَى   وَطَفَّ عَلَى مَوْجِ الْفَسَادِ غَرِيقُهُ
٧- وَكُنَّا إِذَا هَبَّتْ زَعَازِعُ فِتْنَةٍ   وَلاَحَتْ بِتَجْسِيمِ الْغَوِيِّ بُرُوقُهُ
٨- فَزِعْنَا إِلَى الأُسْتَاذِ نَرْجُو بَيَانَهُ   لِيُذْهِبَ زُورَ الْقَوْلِ عَنَّا حَقِيقُهُ
٩- فَمَنْ يُرْتَجَى لِلدِّينِ يَحْرُسُ دُرَّهُ   وَيَحْمِيهِ مِنْ زَيْفٍ تَنَاهَى بَرِيقُهُ
١٠- وَيَمْنَعُ عَنْهُ مُلْحِدًا وَمُشَبِّهًا   وَيَرْتُقُ مِنْهُ مَا تَشَتَّتَ فُتُوقُهُ

---

(٣) أدمع إناءه : ملأه حتى يفيض – والآماق جمع مؤق العين . طرفها مما يلى الأنف .

(٤) السوق هنا جمع ساق القدم .   (٥) العريق : الأصيل العتيق .

(٦) طف : ارتفع وأشرف .

(٧) التجسيم دعوى المجسمة الذين يقولون إن الله تعالى جسم له حد ونهاية .

(١٠) المشبه من يشبه الله تعالى بغيره – والرتق : إلحام الفتق وإصلاحه – وتشت : تتفرق – والفتوق : جمع الفتق .

١١ - وَيَعْصِم بالْبُرْهَان رَأْيَ أَئِمَّة وَيَقْصِمُ شرِّيراً تَفَشَّى مرُوقُهُ
١٢ - وَيُقْصِى عَن الدِّينِ الْحَنِيف عِصَابَةً يُرَفْرِفُ طَيْرُ الشُّؤْمِ فِيمَا تَسُوقُهُ
١٣ - تَرَاهُمْ وَقَدْ عَجُّوا بِمَيْنٍ كَضِفْدِعٍ تَضَاءَلَ فِي ضَحْلٍ وَزَادَ نَقِيقُهُ

* * *

١٤ - سَلاَمٌ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ زَالَ زَاهِدٌ وَغُيِّبَ بَدْرٌ لاَ يُرَجَّى شُرُوقُهُ
١٥ - وَنَامَ شيوخ الدِّين عَنْ بَيْضَةِ الْهُدَى وَقَامَتْ أَسَالِيب النِّفَاق وَسُوقُهُ
١٦ - فَيَارَبِّ أَرْشِدْنَا وَأَشْيَاخَ دِينِنَا لِيَبْعُد عَنَّا فَاجِرٌ وَفُسُوقُهُ
١٧ - وَيَارَبِّ أَكْرِمْنَا بِحُرْمَةِ سَيِّد لَه الْجَاهُ إِنْ جَاءَ الْمخِيفُ يَعوقُهُ
١٨ - أَضَاءَتْ بِهِ شَرْقَ الْعَقِيقِ مَدِينَةٌ إِلَيْهَا صَبَا قَلْبِى وَحَنَّتْ عُروقُهُ
١٩ - شَفَاعَتهُ حِرْزٌ إِذَا نَالَ لِي بِهَا نَزَلْتُ بِفِرْدَوْسٍ يَجِلُّ خَلوقُهُ

* * *

---

(١١) المراد بالشرير ابن تيمية الذى يقول إن زيارة النبى ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة ، وكان الأستاذ رضى الله عنه حرباً على ابن تيمية وعلى سواه مما حادوا عن جادة الدين .

(١٣) عجوا : رفعوا أصواتهم - والمين : بفتح الميم بعدها آخر الحروف ساكنة : الكذب - والضحل : الماء الرقيق ليس له عمق على وجه الأرض - والمراد أولئك الذين يكفروننا إذا قلنا يا رسول الله ثم هم يجسمون ويشبهون ويحاولون نشر ترهات ابن تيمية وإحلالها محل فقه علماء الإسلام ومذاهبهم المتبوعة .

(١٩) نال له بالعطية أعطاه إياها - والخلوق بفتح الخاء المعجمة : ضرب من الطيب .

تمت بحمد الله تعالى

وبتمامها تم الكتاب ؛ والحمد لله الرزاق الوهاب

الفهــرس

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب :
١٠٧٦٠ / ١٩٩٩
الترقيم الدولى : .I.S.B.N
6 - 021 - 315 - 977

دار التوفيق النموذجية للطباعة
أوفست - تحضير أوفست - كمبيوتر
ت : ٥١١٥٣٠٤